

روائع المسرح العالمي

٥٦

# المسافر بلا متاع

تأليف: هانز انوى

ترجمة وتقديم: الدكتور أنور لوقا

مراجعة: محمد كمال فايد

المؤسسة المصرية للدراسات  
للشأنات والنشر  
الدراسية للتأليف والترجمة



# المسافر بلا متاع

مسرحية وجودية

بقلم : الدكتور أنور لوقا

أستاذ الأدب الفرنسي المساعد بكلية عين شمس

— ١ —

وثب اسم « جان أنوى Jean Anouilh » ، منذ نهاية الحرب العالمية الأخيرة ، الى المكان الأول بين كتاب المسرح الفرنسي المعاصر . تبوأ — على وجه التحديد — مرتبة الصدارة التي حلت بوفاة الأديب الكبير « جان جيرودو Jean Giraudoux » سنة ١٩٤٤ . وما زال يحتل هذه المنزلة بجدارة وان اختلف اتجاهه عن اتجاه سلفه .

ويعترف بامتياز « جان أنوى » الأدباء والنقاد والجمهور على السواء ، لا لغزارة إنتاجه فحسب — وان يكن ألف حتى اليوم أكثر من عشرين مسرحية هامة — بل لبراعته الفائقة في التعبير المسرحي هازلا وجادا ، وتمكنه من تطويع أدوات هذا الفن لأغراضه في خلق شخصيات معينة ، شخصيات نافرة ، شديدة الحنين الى عالم النقاء والبراءة والحق والخير ، متفجرة السخط على أوضاع الواقع الحالي القائمة على الاثم والرذيلة

والنفاق ، حتى ليحرك صوته الانساني النفاذ مشاعر النظارة الى أقصى درجات التأثر . ان دور المسارح تدوى في كل موسم بصيحات أبطاله — أبطاله القدماء الذين يحب الناس استعادة قصصهم ومواقفهم وأقوالهم الصريحة المبلورة ، وأبطاله الجدد الذين يلحقون بهذا الموكب الحاشد عاما بعد عام . ذلك أن قريحة « جان أنوى » صادقة الخصب ، لم تنضب رغم ما بدا حيناً من ضعف تأليفه — لا سيما بعد أن سقطت سنة ١٩٥٥ مسرحيته « أورنيفل أو تيار الهواء » — فانه لم يلبث حتى أثبت أنه خليق بالاتقان ، طويل الباع دائماً ، لا يتخلف اذا صح عزمه عن اتحاف المسرح بآيات فنية رائعة ، نذكر من بينها المسرحية القوية « بيكيت أو شرف الله » التي ظهرت سنة ١٩٥٩ .

لم يعد تقدير أدب « أنوى » اذن موضع نزاع . لقد دخلت الآن الى فصول الكتب المدرسية صفحات من نصوص له أصبحت ماثورة ، وأصبح الطلبة في جيلنا يعكفون على تأملها وتدوقها وتحليلها . وترجمت أعماله الكبرى الى كثير من اللغات الحية ، فانطلقت تتجاوب في آفاق الانسانية أصداء رسالته المؤثرة . وقد يعرف قراء العربية اسم « جان أنوى » من مقالات وأخبار نشرتها عنه بعض مجلاتنا الأدبية ، ولعل

منهم من استمع الى أمثلة من فنه قدمتها اذاعة القاهرة ضمن فقرات « البرنامج الثانى » .

على أن هذا الكاتب الشهير — وما أحقه بالشهرة ! — يحرص حرصا غريبا على أن يكتب قصة حياته عن الناس . ولم يفلح من استجوبه من الصحفيين أو من تخصص فى الكتابة عنه من الباحثين فى أن يحصل على أكثر من الوقائع التالية لتسجيل سيرته :

وليد « جان أنوى » فى مدينة بوردو بفرنسا ، يوم ٢٣ يونيو سنة ١٩١٠ . وهو ينتمى الى عائلة متواضعة ، اذ كان أبوه خياطا ، وكانت أمه تشتغل بعزف « الكمنجة » . ولهذه النشأة يرجع دون شك ميل « أنوى » الى تصوير جور الفقر ووطأته على نفوس الفقراء فى سلسلة من مسرحياته . وانتقل « جان » الى باريس عندما بلغ الثامنة من عمره ، فأتم دراسته الابتدائية بمدرسة « كولبير » ، ثم واصل دراسته الثانوية بـ « كوليج شاپتال » — وهما من خير مدارس العاصمة الفرنسية . والتحق بعد ذلك بكلية الحقوق ، الا أنه اضطر الى أن يتركها ، بعد عام ونصف عام ، ليكسب عيشه بالعمل فى احدى دور الاعلان .

ولم يأسف « جان أنوى » لقطع دراسته الجامعية على

هذا النحو ، بل وجد في تدييح الاعلانات أسلوبا طريفا ، لونا  
خاصا من البلاغة أعجبه ، وعلمه كيف يتوخى في القول دقة  
اللفظ وكيف يحتال على المعانى . أليس تركيب الحوار  
المسرحى — وهو فن يراوده ويجتذبه — مبنيا على ترتيب  
العبارات والكلمات التى ينطق بها كل شخص فى لحظة محددة ؟  
لقد بدأ هذا الفتى المغمور يكتب اذ ذاك للمسرح ، هاويا .  
ولم تتجاوز أصداء تجاربه الأولى على كل حال نطاق أصدقائه  
الضيق .

وكان قد أولع بمتابعة ما تقدمه دور التمثيل منذ  
سنة ١٩٢٥ — أى قبل أن يتم الخامسة عشرة من عمره . ومضى  
يقراً بشغف نصوص مسرحيات « برنارد شو » و « كلوديل »  
و « بيرانديلو » . وفى ربيع ١٩٢٨ ، أتيح له أن يشهد الفنان  
العبرى « لوى چوڤيه Louis Jouvet » وهو يمثل مسرحية  
« سيغفريد Siegfried » — التى ألفها « چيروودو » —  
فمسته هذه المسرحية مسا ، وملكت عليه مشاعره ، نصا  
واخراجا وأداء . واذا هو قد حفظها عن ظهر قلب ، واذا هو  
يردها بنفس القاء « چوڤيه » الذى لم يبرح سمعه . وظل  
مسحورا ، مجذوبا الى أسرار المسرح التى اجتلاها فى ذلك  
الأسلوب الشعرى الأليف الذى يشف عن أعماق النفوس .

وواتته الفرصة بعد عامين ليعرف « لوى چوقيه » ،  
بل ليتصل به اتصالا مباشرا ، فقد اشتغل « سكرتيرا » له  
سنة ١٩٣٠ . وسعد الفتى الأديب بالانتقال الى حضن المسرح ،  
وبفرض هوايته الخاصة على نشاطه العام . واستغرق المسرح  
أيامه ولياليه . هناك كتب نص « السمور الأبيض » . وكانت  
هذه المسرحية أول عمل لجان أنوى يظهر على الملأ ، وأول  
نجاح يصادفه . أخرجتها فرقة « پيير فرينى Pierre Fresnay »  
سنة ١٩٣٢ ، فعرفت جمهور باريس بكتاب جديد وحققت  
لهذا الكاتب الجديد حلما عزيزا . وعلى أثر هذا التوفيق  
السريع ، اتخذ « أنوى » قراره — وهو فى الثانية والعشرين  
من عمره — بالتفرغ للتأليف المسرحى تفرغا كاملا . وتزوج  
المثلة « مونيل فالنتان Monelle Valentin » التى أحبها  
وتوسم فيها فنانة تضطلع بأدوار بطالاته ..

على أن النجاح لم يحالف مسرحيته التالية « مافدارين  
Mandarine » سنة ١٩٣٣ . لم يعاوده الا بعد انقضاء عامين  
آخرين ، حين قدم سنة ١٩٣٥ مسرحيته « حكاية سجين  
Y avait un Prisonnier » . ولحسن حظه عرضت عليه  
شركة « مترو جولدين ماير » الأمريكية — لقاء مبلغ ضخم —  
أن تشتري قصة المسرحية لتحولها الى فيلم سينمائى ، فقبل

العرض بلا تردد ، دون أن يهتم بمصير قصته ، التي لم تصنع  
منها شركة « مترو » شيئاً حتى اليوم ! ولقد ضمن لأدينا  
ذلك الرزق الذى هبط عليه ما كان ينشده من الاستقلال  
والاستقرار ليتفرغ لتأليف عمل مسرحى كبير كان يتوق الى  
تأليفه . وهكذا استطاع أن ينصرف بنواهبه كلها لكتابة  
« المسافر بلا متاع Le voyageur sans bagages » .

وطمع « أنوى » فى أن يخرج « چوقيه » بنفسه هذه  
المسرحية الجديدة ويمثلها . ولقت نص « المسافر بلا متاع »  
فعلا نظر « چوقيه » ، الا أنه لم يتعجل اخراجها ، فنقد صبر  
المؤلف الشاب ، وسحب مسرحيته فجأة ، وسلمها الى فنان  
آخر موهوب ، روسى الأصل ، هو « جورج پيتوئيف » الذى  
طلع بها على جمهور باريس سنة ١٩٣٧ .

وتختلط معالم حياة « چان أنوى » بمعالم نشاطه الفنى ،  
فلعل خير ما نوجز به سيرته بعد ذلك هو أن فستعرض أهم  
ما ظهر من مسرحياته منذ « المسافر بلا متاع » :

فى سنة ١٩٣٨ قدم « المتوحشة La Sauvage »  
و « حفلة اللصوص الراقصة Le Bal des voleurs » ( وكان  
قد ألف الأولى سنة ١٩٣٤ والثانية سنة ١٩٣٢ ) . وفى  
سنة ١٩٣٩ « ليوكاديا Leocadia » . وفى سنة ١٩٤١ « لقاء

سانليس « Le Rendez-vous de Senlis » ( التي ألفها  
 سنة ١٩٣٧ ) . وفي سنة ١٩٤٢ « أوريديس Eurydice »  
 وفي سنة ١٩٤٤ « أنتيجون Antigone » ( التي ألفها  
 سنة ١٩٤٢ ) . وفي سنة ١٩٤٦ « روميو وجانيت Roméo et  
 Jeannette » . وفي سنة ١٩٤٧ « الدعوة الى القصر  
 L'Invitation au château » . وفي سنة ١٩٤٨ « أرديل  
 أو المرجريت Ardèle ou la Marguerite » . وفي سنة ١٩٥٠  
 « التدريب على المسرحية أو عقاب الحب La Répétition ou  
 l'Amour puni » . وفي سنة ١٩٥١ « كولومب Colombe » .  
 وفي سنة ١٩٥٢ « فالس مصارعى الثيران La valse des  
 a Toréadors » . وفي سنة ١٩٥٣ « القنبرة L'Alouette »  
 و « ميديا Médée » ( التي ألفها سنة ١٩٤٦ ) . وفي  
 سنة ١٩٥٤ « سيسيل أو مدرسة الآباء Cécile ou l'Ecole  
 des Pères » . وفي سنة ١٩٥٥ « أوريفيل أو تيار الهواء  
 Ornifle ou le courant d'air » . وفي سنة ١٩٥٦ « بيتوس  
 المسكين أو عشاء الرءوس Pauvre Bitos ou le dîner de têtes » .  
 وفي سنة ١٩٥٩ « شارد البال أو الرجعي العاشق L'Hurluberlu  
 ou le réactionnaire amoureux » ، و « بيكيت أو شرف الله  
 Becket ou l'honneur de Dieu » . وفي سنة ١٩٦١ « الكهف

« La Grotte » . هذا الى جانب اشتغال « أنوى » بأعداد  
بعض الأفلام السينمائية واقتباسه — فى أسلوبه الحديث —  
لبعض مسرحيات شكسبير وأوسكار وايلد وأونيل ومولير .

— ٢ —

و « المسافر بلا متاع » من أجود مسرحيات « چان  
أنوى » ، وأحفلها بمعانيه ، وأدلها على اتجاهه . وقد أعيد  
تمثيلها مرارا ، وعاشت — حتى الآن — ربع قرن من الزمان  
لم تفقد خلاله شيئا من قوتها وجدتها . لذلك رأينا أن تكون  
أول ما تقدمه سلسلة « روائع المسرح العالمى » من أدب « چان  
أنوى » الى قراء العربية .

وتعجبنا فى الفصل الأول — أو اللوحة الأولى — براعة  
الاستهلال . فالكاتب يريد أن يعرفنا بشخصيات المسرحية قبل  
كل شيء . وهو يسلك فى ذلك طريقا طبيعيا سهلا ، يتدرج فيه  
حتى تجتمع لدينا المعلومات التى تحدد لنا خلق كل شخص ومكانه  
من أحداث القصة ومراميها . هذه الدوقة « ديون ديفور »  
سيلة ثرثارة ، تصطنع الرفعة والرقعة ، وتتكلف أناقاة القول  
وكرم الغاية ، وهى الصفات التى تمتاز بها طبقة الأشراف ،  
مع أنها فى الواقع امرأة غليظة المشاعر ، نفعية مناققة ، تخضع

نفسها بالمظاهر كما تخضع سواها . انها لم تصطحب الفتى « جاستون » — الذى فقد ذاكرته أثناء الحرب العظمى — من أسرة الى أسرة لمجرد اعادته الى أحضان أهله رحمة به ورحمة بهم ، بل للمطالبة بمكافأة تتمناها نظير عنايتها المزعومة به فى السنوات الأخيرة . ولذلك يرافقها مستشار قانونى وكلته بمصالح « جاستون » ، هو الأستاذ « هوسپار » . ولقد رفضت — دون نقاش — احتمال أن يكون « جاستون » ابن بائعة ألبان أو ابن وقاد مصاييح ممن تعرفوا صورته والتمسوا أن يقابلوه ، وأصرت على أن تأتى به الى « آل رينو » أصحاب هذه الدار الكبيرة المليئة بالأثاث الفاخر والخدم والحشم ، التى يرتفع عنها الستار .

وأما « جاستون » فلا يتعرف من « آل رينو » أحدا ، ولا تذكره أنحاء الدار بأى شىء . عبثا يتصفح وجوه الحاضرين الذين خفوا للقاءه بلهفة المشتاقين — وهم أمه وأخوه وزوجة أخيه ، وعبثا يطوف بأركان المنزل والحديقة .. على أن الجميع هنا — من سادة وخدم — يؤكدون أنه « چاك رينو » بعينه . لا سبيل الى الشك فى شخصيته . وها هم يحاولون — بعد أن خيب ظنهم باستغراقه العنيد فى النسيان — أن يقتعوه بأنه واحد منهم .

يتفننون في أساليب بعث الذكريات الى نفسه ، ذكريات الطفولة والصبا والشباب . يأخذونه بكل رفق ، يحدثونه عن وقائع شهيرة ، يقودونه الى غرفته الخاصة ، حتى اذا نام في سريره الذى اعتاد أن ينام فيه قديما ، هياؤا له أن يستيقظ وسط الأشياء التى كان يعهدا من حوله ، لعلها توحى اليه بما غاب من وعيه .. ولا يدعون مناسبة دون أن يرووا له ما تيسر من سيرته وأطواره .

ويبدل « جاستون » — من جانبه — جهدا صادقا فى الالمام بهذا الماضى المجهول الذى يسوقه اليه أهل البيت ، عسى أن يستطيع ولوجه من بعض أبوابه . ويأخذ فى استجواب الجميع عن فصول الحياة التى يزعمون أنه عاشها بينهم ، بل ويلح عليهم بالسؤال كلما تخرجوا عن سرد أحداث أو تفاصيل غير مشرفة .

ويا هول ما يقف عليه ! انه يكتشف شيئا فشيئا أن « چاك رينو » هذا الذى اختفى فى جبهة القتال منذ ثمانية عشر عاما ، لم يكن سوى فذل حقير . ذات يوم ، تشاجر مع خير أصدقائه — ولأى سبب ؟ ليستأثر دونه بمعاينة الخادمة الصبية واغتصابها ! فدفعه بعنف من أعلى السلم ، وكسر فى ذلك عموده الفقرى ، وقضى على صديقه الحميم بالشلل مدى

الحياة . وكان « چاك رينو » فظا شديد القسوة ، لا نحو أمه وأخيه وأصدقائه وخدمه فقط ، بل حيال أصغر كائنات الطبيعة وألطفها : فقد كان يتلذذ بقتل الطيور ، ويتعذيب الجرذان في الفخاخ حتى تموت . ولكى يحصل على مال يئذره في لهوه ومجونه ، تفتق ذهنه الخبيث عن خطة جريئة بها اختلس خمسمائة ألف فرنك من سيدة عجوز وثقت به لثقتها بأمه ..

ولم يقف فساده عند هذا الحد الرهيب ، بل تمادى الى اغواء زوجة أخيه « قالنتين » ، هذه التى نفهم من ابتسامها وسلامها وكلامها أنها ما زالت مفتونة به ، تشتتى عودته لوصولها . وازاء نفور « جاستون » المتزايد ، واستبشاعه سيرة « چاك » ، وابائه أن يكون اياه على كل حال ، تقدم له « قالنتين » الدليل القاطع على أنه هو ذلك الوغد الذى يريد أن يتحاشاه . ألم يكن عاشقها ؟ انها اذن تعرف جسمه : فما عليه الا أن يتحقق من أثر جرح فى ظهره ، تحت كتفه اليسرى ، أحدثته هى ذات ليلة بدبوس قبعتها .

وتبلغ كربة « جاستون » أقصاها ، عندما يعرى ظهره أمام المرأة ، ويفحص لاهثا ما تحت كتفه اليسرى . نعم ، ويرى أثر الجرح المذكور ، فيجھش بالبكاء .. وهذا المشهد — وهو اللوحة الرابعة — قمة من قمم المسرحية : فنحن

لا نبصر جاستون الذى احتبس نفسه ليجابها وحده ، وانما نتتبع ما يفعله خلال تعليق الخدم عليه وهم يتزاحمون ليسترقوا النظر من الكوة ساخرين شامتين ، فى بذاءتهم الطبيعية المعبرة .

وفى اللوحة الخامسة ينقلب البطل على ماضيه ، يطلقه بلا رجعة ، يتبرأ منه ويصر على نبذه . لا يتردد فى أن ينزل عن كل ما ورث فى المجتمع من جاه وأموال وامتيازات ، نظير أن يقطع كل صلة تربطه بهذا البيت وأهله . ويستبسل فى مقاومة « قالتين » التى تسعى لاستبقائه بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى ، وفى مقاومة أخيه الأكبر « جورج » الذى يعده بالصفح والغفران . لا هم له الآن الا الرحيل ، كما أتى ، خفيفا بلا متاع .

وتسبح له فى الحال فرصة رائعة يغتنمها . يلتقى بـغلام انجليزى صغير ، أتى ضمن وفود العائلات العديدة التى فقدت فى الحرب أقرباء . وما زالت تبحث عنهم . والصبى يزعم فى سذاجة مضحكة أنه عم الشخص المفقود . هكذا لقنه محاميه « مستر بيكويك » ، ولا بد أن يجد ابن أخيه المزعوم حتى تنطبق عليه شروط وصية قانونية تتيح له أن يرث — دون شريك — ثروة طائلة . ولماذا لا يقبل « جاستون » أن يكون

عمه هذا الغلام ؟ انه ليفعل ، ويغادر معه البيت الذى نشأ فيه ،  
دون أن يودع أحدا ، وغير آسف على شيء .

وتنتهى المسرحية هذه النهاية المفاجئة ، التى لا تخلو من  
التكلف والافتعال . وقد عدها بعض النقاد — ومنهم « جبريل  
مارسيل » — نقطة ضعف فى التأليف . ولكننا نرى بوضوح  
أن « جان أنوى » قد اتخذ هذا المخرج من قبيل التهكم  
والسخرية ، وهو سبيل الهزل الذى كثيرا ما تتعرج اليه الحياة  
إذا انسدت دونها مسالك الجد . وعندما تتجمد أوضاع  
الواقع على ما تطويه من سخف وحماسة ، ألا تصبح الفكاهة  
أحكم وأجدى ؟ ان « أنوى » يعتمد تقديم هذه الحكمة  
الساخرة . وتتجلى سخريته من ناحية فى اطلاق اسم « بيكويك »  
على المحامى — و « بيكويك » من أشهر الشخصيات المضحكة  
فى أدب « تشارلس ديكنز » ، ومن ناحية أخرى فى أنعام  
الموسيقى المتهمكة التى تصاحب تمثيل الفقرات الأخيرة من  
المسرحية ، وقد وضعها خصيصا لهذا الغرض « داريوس ميو  
Darius Milhaud » . ولا حاجة بنا الى أن نبين  
لماذا اختار « جاستون » أن ينتسب لصبي لا ذكريات له ،  
وصبي إنجليزى يفصله عن أصله الفرنسى ، وصبي وحيد  
بلا عائلة .

والموضوع الذى تعالجه مسرحية « المسافر بلا متاع »  
موضوع أثير لدى « جان أنوى » نستطيع أن نتبع جذوره  
فى مسرحياته السابقة . أجل ، لقد استوحى « أنوى » مسرحية  
جيرودو الشهيرة « سيجفريد » ، وجعل هنا بطله « جاستون »  
— مثل « سيجفريد » — رجلا فقد الذاكرة . ولكن « سيجفريد »  
وان كان ضحية نفس المرض ، الا أنه طراز آخر من الرجال :  
انه زعيم ممتاز ، لامع ، غدير الثقافة ، على حين ينغم  
« جاستون » — كما تنغم شخصيات « أنوى » عادة — فى  
أحوال واقع ملوث هو تقيض ذلك السم وتلك الأبهة .  
والحق أن ملامح « جاستون » أقرب الى ملامح « لودوفيك »  
بطل « حكاية سجين » .

وتتلخص قصة « لودوفيك » هذا فى أنه كان من أمهر  
رجال المال ، غير أن نفسه سولت له أن يعلن افلاسه بطريقة  
تضيق معها عنده حقوق دائنيه . فعوقب على جريمته — فى  
روما — بالسجن خمس عشرة سنة . وترتفع الستارة عن أفراد  
أسرته ، وقد اجتمعوا على ظهر سفينة صغيرة خاصة ، راسية فى  
ميناء « طولون » ، يملكها زوج أخته — وهو من دهاة رجال المال

أيضا — ليحتفلوا بخروجه من السجن ، وعودته ، بعد اقتضاء تلك المدة الطويلة . ويدخل « لودويك » في بساطة تزرى بتكلفتهم ومظاهرهم . لا يكاد يفتح عينيه كأنه لا يطيق النور الساطع من حوله ، حتى اذا سرح بصره بين هؤلاء الذين كانوا أقرب أقربائه ، أحس ازاء تفكيرهم واهتماماتهم وعباراتهم أنهم تغيروا ، أنه غريب عنهم وأنهم غرباء عنه . ويعترف ، أثناء اجاباته على أسئلتهم السخيفة المتلاحقة عن حياته في السجن ، بأنه لم يفقد شيئا هناك كما افتقد الزرع الأخضر والحيوان الأليف . وتحلق قبيرة فوق السفينة فينتشى بتحليقها . ولقد اصطحب رفيقا من رفاق السجن ، مذنيا غريب الأطوار ، شرط على أهله أن يستضيفوه والا فارقهم ومضى واياه الى حيث لا يدركونه . ويكتم أفراد الأسرة اشمزازهم ، الا أن « باريكان » — زوج أخته الذي كفل الجميع الى حين الافراج عنه — لا يكتم نواياه . فهو يطالب « لودويك » أولا بأن يغير اسمه ، ثم بأن يعمل أجيرا لديه ، ليسدد بكدحه المبالغ التي أتفقها على العائلة . وينشب النزاع بين الرجلين ، ويحتمد شجارهما ، حتى يضطر الباقون الى التدخل لفضه . ويلوذ « لودويك » بصالون السفينة ويتحصن فيه ، لا يريد أن يغادره حتى تجاب رغباته .

وهو يرغب في أن يلتقى بصديقه القديم « الدكتور مارسلان بوتشيل » ، فيبادر أهله الى تيسير هذا اللقاء ، لعل صديقه الطبيب أن يفلح في أن يسمعه صوت العقل . وتستقبل الأسرة ذلك الرجل قبل أن تدخله الى « لودويك » ، فترى شخصا بدينا تبدو عليه علائم البشر والمرح ، ولكنه سرعان ما يكتسب عندما يعلم أنه مكلف بتلقين درس الواقع لصاحبه الناشز . واذ يختلى مارسلان بلودويك ، يدور بينهما حوار بليغ . أما « لودويك » فيرفض أن يتكلم عن نفسه ، ويحرص على أن يستطلع ما آلت اليه حياة صديقه بعد خمسة عشر عاما من حرية التصرف في شئونه الخاصة . ترى ماذا فعل بهذا الوقت الثمين ؟

— فكرت كثيرا فيك ، ثم ، كما ترى ، سممت وشجنت .  
 — بل قل لي ماذا ألم بك من الأفكار ومن العواطف ؟  
 — سار العمل في عيادتي سيرا لا بأس به . وضاربت في البورصة ، فكسبت قليلا من المال وخسرت الكثير .  
 ثم انقطعت عن المقامرة .

ولكن « لودويك » يستفهم عن غير هذا كله ، فيخطر لمارسلان أن يحدثه عن رحلوا عن الدنيا :  
 — لقد فقدت أبي ، وكذلك أحد أعمامى .

— دعنا من الموتى .

— واتخذت عشيقات كثيرات .

— هل أحببتهن ؟ ..

— لا ! ما كنت أنت لترضى لى بذلك ، لم أخلص الحب

لأى منهن ، فقد عمدن جميعا الى خيانتى ، ولم أحتفظ

بواحدة منهن أكثر من سنة .

وماذا فعل أيضا فى تلك الفترة الغالية من عمره ؟ قام برحلة

حول سواحل البحر الأبيض المتوسط ، رحلة عظيمة ، مدهشة ..

فيصيح « لودويك » بازدرء :

— ما الحياة بالنسبة للناس الذين ظلوا أحرارا سنوى

ألفاظ !

وهنا يتضح المعنى الذى قصد اليه المؤلف من جعل المجرم

الذى يلازمه البطل رجلا أبكم ، قد قطع السجناء لسانه قطعاً

لكى لا يفشى أسرارهم .. الصمت اذن خير من الكلام الأجوف

الذى تتحول اليه فصول حياة قافهة ! لقد أراد « لودويك »

أن يعرف مم حرمه المجتمع منذ زج به فى السجن ، وها هو

ذا يجهر بأنه لا يأسف قط على ما فاته ، اذا كان ما فاتته من

نعم الحياة لا يتعدى ما أصابه منها صديقه الطيب . ويعمن

فى سخطه وتجهمه ، وتتدفق لعناته ، فيهدى صديقه من روعه

وهو يعتقد أنه يواجه اذ ذلك مجنوناً جامحاً ، مجنوناً يدفعه اليأس الى محاولة الانتحار . ويبدل الطيب قصارى جهده ليشي « لودويك » عن عزمه الأسود ، ويخيل اليه أنه أفلح في اقناعه ، غير أنه لا يكاد ينصرف مطمئناً ، حتى يهم البطل القانط بالوثوب الى البحر ، فيعترضه صاحبه الأبكم ويتخذ حياته قسراً .

وفي الفصل الأخير ، يظن الجميع أن « لودويك » قد استجاب لمنطق « مارسلان » الذي بات يصور له أن الحياة — رغم كل ما يشوبها — تستحق أن نحياها . « مارسلان » هو الذي يزعم أنه بات ساهراً يعظ ويرشد صديقه ، مع أنه راح يغط في نومه معظم الليل . وتقبل على « لودويك » في الصباح زوجته مشقشقة ملاغية ، فتغمره بعبارات الجنان والشكران ، التي تنم عن أفانيتها وضيق أفقها . وتفضى اليه — ضمن كلامها — بأنها قضت السنوات الماضية في التردد على منتديات الطبقة الراقية ، وأنها كثيراً ما جررت سآمتها من حفلة الى حفلة ، وهي في قرارة نفسها تحسده على اعتزاله العالم ولو في السجن . ويذهب « لودويك » في حديث امرأته ، فيتحول الى ابنته التي ينتهبها الجزع على خطيبها : لقد كشف خطيبها الآن عار الأسرة ، وأكبر الظن أنه لن يعقد زواجه

عليها نظرا لمنزلته الاجتماعية العالية . ويشفق الأب البر على بنته . وإذا جد الجد لن يحجم عن التضحيات المطلوبة منه لا تقاذ سمعة العائلة والابقاء للفتاة على خطيبها . غير أنه يسألها أولا هل هي تحبه حقا ؟ فيعلم أنها لا تحبه ، وإنما تستمسك به لأنه « عريس عظيم » ما كانت تأمل الفوز بمثله . ينصحها بكل صراحة أن تفسخ خطبتها ، ولكنها ترفض . ماذا بقي له ؟ لا خير في الأسرة ما دامت الروابط بين أعضائها فاسدة أو منعقدة .

بقي العمل . والعمل الشريف حق وواجب ، وقد يكون فيه العزاء والجزاء . ويفحص « لودويك » أوراق الشركة التي يريدون له أن ينتشلها من افلاسها بجهد مضاعف يبذله ، فيتضح له التزييف والتدليس والاجرام . كلا ، انه لن يقبل هذا العرض ، ولن يقبل أن ينضم الى عصابة هؤلاء الناس المحترمين ! ويشور من جديد ، فيقرر أهله أن يضعوه شهرين أو ثلاثة أشهر في أحد مستشفيات الأمراض العقلية ، لكي يستجيم ويستعيد صوابه . ويدعن لأمرهم ، أو يظهر الازعان . لقد أبحرت السفينة وابتعدت عن الشاطئ . وفجأة — في ختام المسرحية — يقفز « لودويك » وصاحبه الأبكم الى الماء . ويفيان عن الأعين . ونجهل مصيرهما . لكنها يحسان

السباحة ، فلعلهما ينجوان من الغرق ويستأنفان في مكان ما حياة أفضل من هذه التي يفران من شرها فرارا .

وهكذا نزع « جان أنوى » في « حكاية سجين » الى ادانة المجتمع ، واتخذ من تمرد انسان بمفرده على أوضاع العالم بأسره مادة الصراع الدرامى . وتتضمن مسرحية « المسافر بلا متاع » مثل هذا المغزى الاجتماعى الأخلاقى ، إلا أنها تضيف اليه مسألة ميتافيزيقية أعمق وأخطر ، هى مسألة علاقة الكائن بارادته الخاصة .

— ٤ —

بين جدران السجن ، تبدل « لودوفيك » . انصرف عن ضلاله القديم ، ونظر الى الحياة نظرة جديدة ، صحح على ضوءها أخطاءه السابقة . تعلم الشظف ، وجد الأمور ، والبساطة . والى هذا كله يرمز السجين الأبيكم الذى أصبح الآن لا يفارقه . وكذلك تبدل « جاستون » . خلع ماضيه كله عندما فقد ذاكرته أثناء الحرب . ثم قاده المؤلف بدوره ليواجه أمامنا عائلته . موقف أساسى واحد قامت عليه المسرحيتان . ولكن « جاستون » فى « المسافر بلا متاع » لا يواجه عائلته فقط بل يواجه نفسه أيضا . والأمر أمر حياته بتمامها ، إذ أن الوجود

هو انتقال الماضي بفعل الذاكرة لحظة لحظة عبر الحاضر  
فالمستقبل .

انه يستدعى ماضيه ، وينبعث له هذا الماضي جزءا تلو جزء ،  
خلال التحقيق الشامل الذى يقوم به فى الدار التى طوت  
طفولته وصباه وشبابه . وتسيبك حوله حلقات ذلك الماضي ،  
وتطوقه ، وتضييق عليه الخناق ، كلما أمعن فى استجواب الشهود  
الذين عرفوا أطواره واحتملوا جرائمه ...

هذا انسان يبدأ وجوده من الصفر ، ليجمع أشتات الحياة  
التى تنقصه . ويظن أنه خرج فى رحلة العمر نحو السعادة .  
وما أكثر ما تتوسم السعادة فى المجهول ! على أن السعادة التى  
يتمثلها جاستون لنفسه ليست مطمحا عظيما ، باهرا ، بعيد  
المنال هيهات أن تجود به الأيام ، بل هى سعادة النفس المتواضعة ،  
الرقية الصادقة . انه لا يخلو فى حلمه اذا قنع بهذه الصور  
فى وصف أفراح صباه :

— ... يوم تسرب الماء من صنوبر الحمام ولم يستطع أحد  
أن يقف تدفقه ، يوم طرأ على موقد المطبخ خلل هائل ، أو  
صادفنا محصل ترام مضحكا ... فضحكت أمامك . يوم انشرح  
صدرى بهدية ، أو بشعاع من الشمس . لست أسألك فرحة  
طاغية ... بل فرحة صغيرة جدا ..

وأما سعادة شبابه ، فحسبه أن يتخيلها على هذا النحو  
البيسط أيضا :

— من بين آلاف الذكريات الممكنة ، كانت ذكرى صديق  
حميم هي التي أحن إليها بأعظم الشوق .. شيدت كل شيء  
على أساس من ذكرى هذا الصديق الخيالي . نزهاتنا التي  
شغفنا بها ، والكتب التي اكتشفناها معا ، وفتاة أحبها هو  
وأحببتها أنا في الوقت ذاته فنزلت له عنها وضحت بها ،  
بل — وستضحكان من هذا — اننى أقتدت حياته يوما في  
زورق . اذن ، ان كنت ابنكم ، أليس علىّ أن أعتاد حقيقة  
ما أبعدها عن حلمي ..

ويشقى بخيبة آماله ! انهم ينبئونهم عن كل حقبة بتقيض  
ما كان يتوقعه . لا يكاد يفيق من صدمة حتى ترديه صدمة  
أشد . وليس أقسى على الانسان من فجيعة في نفسه ،  
وانهيار أعز ما يرنو اليه . عليه الآن أن يستألف العيش كسيرا  
غانيا ، في جو خطاياها التي نسيها . عليه أن يضع خطاياها فوق  
كاهله ، وأن يرزح الى آخر العمر تحت عبء فادح يسحقه .  
وما الذي يرغمه على الزج بنفسه في هذا الجحيم بعد أن خرج  
منه واستمتع بالحرية ؟ فليطرح تلك الأثقال ، وليطوح بأولئك

الناس ! ولينزع عن حياته كل ما أراد الواقع المشئوم أن يلصقه بها من أدران .

ها هو ذا يشور على أمه :

جاستون — لست « جاك رينو » ؛ لست أتعرف شيئاً هنا مما كان له . ذات لحظة ، نعم ، وأنا أصغى الى كلامك ، خلطت بينه وبينى . انى أسألك العفو . ولكن ، لعلك ترين أن ماضيا بأكمله ، بالنسبة لرجل بلا ذاكرة ، انما هو عبء باهظ أثقل مما يطيق ظهره أن يحمله دفعة واحدة — لو شئت أن تؤدي لى خدمة ، لا خدمة بل فضلا ، أرجو أن تسمحى لى بالعودة الى الملجأ . لقد كنت أعرس الخس ، وألمع الأرضيات . وكانت الأيام تمضى .. ولكنها حتى بعد انقضاء ثمانى عشرة سنة — وذلك بالضبط نصف آخر من حياتى — لم تتمكن وهى تنضاف يوما الى يوم ، من أن تصنع هذا الشيء الفتاك الذى تسمونه الماضى .

مدام رينو — انما ، چاك ..

جاستون — ثم لا تسمينى بعد الآن چاك .. لقد فعل أشياء كثيرة ، چاك هذا . جاستون أحسن ؛ انه وان لم يكن شخصا موجودا ، فأنا أعرف من هو . ولكن چاك هذا الذى أحاطت باسمه جثث كل تلك الطيور ، چاك هذا الذى احتال

وآلم ورحل وحده الى الحرب دون أن يرافقه الى قطاره  
مودع ، چاك هذا الذى لم يستطع حتى أن يجب ، انه يخيفنى .  
وعندما تتحداه « قائلتين » بذكر الدليل القاطع على أنه  
« چاك رينو » يتحداها « جاستون » بالانكار ، ويتخلى الى  
الأبد عن ماضيه ، وعن الأشخاص الذين اتصلوا بماضيه ،  
وأولهم هو ذاته :

قائلتين — أو تدرك — مجرد ادراك — ما تقوم به الآن ؟  
جاستون — نعم . انى أقوم الآن برفض ماضى وأشخاصه  
— بما فيهم أنا . ربما كنتم عائلتى ، وغرامياتى ، وقصتى  
الحقيقية . نعم ، ولكن هناك شىء ، وهو .. أنكم لا تعجبوننى .  
انى أرفضكم .

قائلتين — فانك مجنون ! فانك وحش ! لا يستطيع الانسان  
أن يرفض ماضيه ، لا يستطيع الانسان أن يرفض نفسه ..  
جاستون — اننى بلا شك الانسان الوحيد ، حقا ، الذى  
وهبه القدر الفرصة السانحة لتحقيق ذلك الحلم الذى يراود  
كل انسان .. اننى رجل ، وفى استطاعتى أن أكون ، اذا شئت ،  
جديدا جدة الطفل ! وهذا امتياز أرى من الاجرام ألا أقتنع  
به . انى أرفضكم . ليس لى لدى منذ أمس — الذى لم أكد  
أقضيه بينكم — الا فيضا من أشياء عنى ينبغى أن أنساها ..

هكذا يسلك البطل الوجودى . انه يتخير طريقه ، ويصنع نفسه . لا كما يريد له الناس ، والعالم الخارجى ، بل كما يريد شخصيا . لأنه يؤمن بحريته قبل كل شيء . لا يعنيه منطق الآخرين ، وما قبلوه من أوضاع خاطئة ، وانما هو يثبت وجوده الأصيل بمقاومة الضغط والاكراه .

لقد اتقل « جاستون » أمامنا من حالته الأولى — حالة الصفحة البيضاء — الى حركة الاستطلاع ، ثم الى القلق ، والأسى .. وبعد أن تأكد من أنه صاحب ذلك الماضى الثقيل ، أهاب بحريته ، واتخذ قراره الخطير بتغيير مصيره . حكم باعدام الفتى الذى كانه ، ليصبح الرجل الذى يود أن يكونه . وانتهى صراعه بأن قضى على شبح ماضيه ، كما بيدد العاقل وهما راوده . وانطلق يلتمس حقيقة جديدة بكرامته الانسانية . ولعلنا نستطيع أن نوجز قصة « المسافر بلا متاع » كلها فى صرخة « جاستون » :

— انما أنا موجود ! ولى وجودى بالرغم من حكاياتكم .. ولا ينبغي أن يشغلنا عن هذا المعنى الجوهرى ما عجت به المسرحية من نقد اجتماعى ، مهما عنف . أجل ، ان المؤلف صادق فى صب لعنته على الحرب ، مصدر المأسى البشرية ، صادق فى ادانة أساليب التربية العتيقة التى تتمثل فى صرامة

أم « چاك » وتشدها واستعلائها ، صادق في فضح عواقب الزواج الوخيمة اذا فرضته على الفتاة — بغض النظر عن عواطفها — اعتبارات تقليدية أو حاجات مادية ، صادق في وصف الفساد الذى يستولى على شباب يرتع في الفراغ والجدة ، صادق في هجومه العام على الناس وقد تخاذلوا ، وأذعنوا لهذه الآثام ، بل وتواطأوا على سترها بحجاب النفاق . فهم يثيرون الحرب ، ويمجدون فظائعها ، باسم النظم والشعوب والمبادئ والواجبات ! وهم يضحون بأجل العواطف ، ويستمترون بالحب والفضيلة والأسرة ، وتهون عليهم الحقائق كلما لوحت لهم الدنيا بمنفعة قريبة . ونسج « أفوى » من النفاق الاجتماعى شخصية الدوقة « ديبون ديفور » ، التى رأينا كيف استغل ثروتها في بناء المسرحية وأسند اليها وظيفة « العرض » .

والحق ان لكل من الأشخاص — حتى الخدم — مشكلاته الاجتماعية والأخلاقية . ولكن « أنوى » لا يقتصر على اثاره هذه الموضوعات ، ولا يجعل همه الرئيسى أن يتخذ منها قضايا يناقشها ويدعو الجمهور الى حلها . انه يتجاوز ما ذهب اليه مسرح « ابسن » من قبله ، ومسرح « برنارد شو » . ويسير قدما ، فيتعمق التفاعل بين النفس ومصيرها داخل الأوضاع

البشرية ، ويسبق « سارتر » الى تصوير البطل الوجودى الذى أسفر عنه عالمنا المعاصر . ولا يتقصد « جاستون » وحده هذه الفكرة الوجودية فى أدب « أنوى » ، بل انه يمثل ناحية مميزة نعهدنا لدى معظم أبطال هذا المسرح المتبردين على عالمهم الكاذب ، الباحثين عن وجودهم الحقيقى ، المؤمنين بالصراع لتحويل اتجاهاتهم وتحرير أفعالهم . وما أشبه « جاستون » فى ذلك بـ « أورفيه » و « أتيجون » و « چان دارك » و « بيكيت » ..

— ٥ —

ولسنا نعى أن « چان أنوى » فيلسوف من فلاسفة الوجودية المعاصرة ، مثل « كامى » أو « سارتر » أو « جيريل مارسيل » . من الطريف أن هؤلاء الثلاثة الأخيرين قد جمعوا بين الفكر الفلسفى النظرى الخالص — فى كتب لهم تشرح مذاهبهم — وبين التأليف المسرحى . غير أنهم بدأوا بالفلسفة ثم انتقلوا منها الى الأدب والفن ، فطبعوهما بطابع جدلى . أما « أنوى » فيستقى مباشرة من منابع « الدراما » . نشأ — كما أسلفنا — فى أحضان المسرح ، فأصبح أدرى بأسرار صنعته . وليس أبعد عن التجريد ذهنى من فنه . انه يخلق أشخاصه

من لحم ودم وأعصاب ، ويضعهم في واقع مجسم ملموس ،  
وينطقهم بلغة حية تحرك القلوب .

وفي « المسافر بلا متاع » تتجلى براعة الصياغة المسرحية .  
تؤدي وحدة الموضوع والمكان والزمان ، الى تركيز شديد  
ينتج عمق التأثير — تلك الروعة المنشودة التي فطن اليها قديما  
أصحاب المسرح الكلاسيكى . ولكن « أنوى » لا يقسم مادته  
هنا الى الفصول والمشاهد التقليدية ، بل الى « لوحات » طويلة  
أو قصيرة . وهو لا شك يقتبس للمسرح بعض أساليب السينما  
التي أخذت تنافسه في جيلنا منافسة جديدة — فنحن نعلم أنه  
ممن مارسوا الكتابة للسينما بنجاح . على أنه احتفظ لنا  
بروح المسرح ، وساق الينا « تراجيديا » قتل فيها البطل نفسه  
الأولى ، ومات كما تموت البذرة في الأرض لكي تنبت نباتا  
جديدا ، « تراجيديا » لا تتعثر فيها الحركة الدرامية بل تسرع  
باطراد رهيب حتى تبلغ غايتها .

وإذا كانت « المسافر بلا متاع » تعبيراً عن أزمة انسان  
القرن العشرين وصراعه ، فانها تحمل الينا رسالة الضمير الحي  
في شكل متقن من نماذج الفن المسرحى .

أ.ل.

## أشخاص المسرحية

جاستون	:	فاقد الذاكرة .
جورج رينو	:	أخوه على وجه التخمين .
مدام رينو	:	أم جاستون على وجه التخمين .
فالنتين رينو	:	زوجة جورج .
الدوقة ديبيون - ديفور	:	سيدة مشرفة .
الأستاذ هوسپار	:	وكيل الدعوى ، المكلف بمصالح جاستون
الغلام الصغير	:	
الأستاذ پكويك	:	محامى الغلام الصغير .
رئيس الخدم	:	
السائق	:	
الوصيف	:	خدم آل رينو .
الطباخة	:	
جولييت	:	



## اللوحه الاولى

غرفة استقبال في دار مترفة من دور الريف ، تطل على منظر عريض من حديقة فرنسية الطراز . عند رفع الستار يظهر المسرح خاليا ، ثم يدخل رئيس الخدم الدوقة دييون - ديفور والأستاذ هوسپار وجاستون .

رئيس الخدم : من أعلن قدومه يا سيدتى ؟

الدوقة : الدوقة دييون - ديفور ، والأستاذ هوسپار

وكيل الدعوى ، والسيد ..

( تردد ) .

السيد جاستون .

( الى هوسپار ) .

اننا مضطرون الى أن نطلق عليه هذا الاسم حتى يجد في الأمر جديد .

رئيس الخدم : ( ويبدو أنه على علم بالموضوع ) آه ! لعل

الدوقة تلتمس العذر لسيدى وسيدتى ، فلم يكن

سيدتى وسيدى ينتظران وصول الدوقة الا في

قطار الحادية عشرة والخمسين . سأخظر في

الحال سيدى وسيدتى بقدوم الدوقة .

الدوقة : ( ناظرة اليه وهو يتعد ) يعجبني رئيس الخدم  
هذا ! .. آه يا صغيرى جاستون ، انى لأجن  
فرحا . لقد كنت واثقة من أنك ابن أسرة  
ممتازة .

هوسيار : لا تسرفى فى التفاؤل ! لا تنسى أن لدينا  
— فضلا عن آل رينو هؤلاء — خمس أسر  
أخرى ممكنة .

الدوقة : كلا يا أستاذ .. ان شيئا فى نفسى يحدثنى بأن  
جاستون سيتعرف فى آل رينو على أهله ؛  
وبأنه سيجد فى هذا البيت جو ماضيه . ان شيئا  
فى نفسى يحدثنى بأنه سيستعيد هنا ذاكرته .  
وتلك غريزة نسائية قلما خدعتنى .

هوسيار : ( ينحنى أمام حجة من هذا القبيل ) اذن ..  
( راح جاستون ينظر الى اللوحات المعلقة  
دون أن يابه لهما ، وكأنه طفل فى زيارة ) .

الدوقة : ( تستجوبه ) وأنت يا جاستون ، أمل أن تكون  
متأثرا ؟

جاستون : الى حد ما .

الدوقة : الى حد ما ! آه يا صديقى ، انى أتساءل أحيانا  
هل تدرك ما فى حالتك من ضنى ؟

جاستون : ولكن ، سيدتي الدوقة ...  
الدوقة : لا ، لا ، لا . لن يقتلع شيء مما قد تقوله لي هذه  
الفكرة من رأسي . أنك لا تدرك . هيا اعترف  
بأنك لا تدرك .

جاستون : ربما لست أدرك تماما ، ياسيدتي الدوقة .  
الدوقة : أنك على الأقل ولد لطيف و ولد يعرف كيف  
يعترف بأخطائه . وهذا ، لست آكف عن تربيته  
ولكن ذلك لا يهون من حقيقة الأمر وهو أن  
عدم مبالاةك وطيشك يستحقان غاية اللوم .  
أليس كذلك يا هوسپار ؟

هوسپار : اللهم ، اني ...  
الدوقة : بلي ، بلي . ينبغي أن تؤيدني — ماذا جبري ؟  
— وأن تجعله يفهم أن الواجب عليه أن يتأثر .  
( استأنف جاستون النظر الى الأعمال  
الفنية ) .

جاستون : سيدتي الدوقة ؟  
الدوقة : هل أنت من حجر ؟  
جاستون : من حجر ؟  
الدوقة : هل قلبك أقسى من الصخر ؟

جاستون : انى .. لا أظن ذلك ، يا سيدتى الدوقة .  
الدوقة : اجابة ممتازة ! أنا مثلك لا أظن ذلك . غير  
أن سلوكك يوحى للنظر اليك — اذا كان  
أقل اطلاعا منا على أمرك — بأنك رجل من  
رخام .

جاستون : آه ؟  
الدوقة : لعلك لا تفهم أهمية ما أقوله لك ؟ أنا أنسى  
أحيانا أنى أخاطب شخصا فقد الذاكرة وأن  
هناك كلمات لعلها غابت عن علمك منذ ثمانية  
عشر عاما . أتعرف ما الرخام ؟

جاستون : حجر !  
الدوقة : هذا حسن . أفتردى أى نوع من الأحجار  
هو ؟ انه أشد الأحجار صلابة يا جاستون .  
أتسمعى ؟

جاستون : نعم .  
الدوقة : ألا يثير فى نفسك شيئا أن أشبه قلبك بأقصى  
الأحجار ؟

جاستون : ( متضايقا ) أبدا ..  
( برهة ) .  
بل قد يبعث فى الضحك .

- الدوقة : أسمعت يا هوسپار ؟  
 هوسپار : ( ليسوى الأمور ) انه طفل .  
 الدوقة : ( فى لهجة قاطعة ) لم يعد هناك أطفال . انما هو جاحد .  
 ( الى جاستون ) .

هكذا ، وأنت تعاني مرضا من أعرب ما حار فى  
 علاجه طب النفس ، وبينما أنت لغز من أكثر  
 ألغاز الحرب العظمى اثاره للحيرة ، لا أكاد  
 أترجم فى عبارة مهذبة لغتك الغليظة حتى  
 يدعوك ذلك الى الضحك ؟ انك — كما قال  
 وأصاب القول صحفى بارع — الجندى المجهول  
 حيا ، هل يضحك هذا ؟ أتعجز اذن عن الشعور  
 بالاحترام يا جاستون ؟

- جاستون : ما دمت أنا المقصود بهذا ..  
 الدوقة : لا يهمننا ! باسم المعنى الذى تمثله ، ينبغى أن  
 تمنع نفسك من الاستهزاء بنفسك . ربما يبدو  
 أنى غير جادة ، ولكنى أعبر عما فى أعماق فكرى  
 حين أقول : عندما تنظر فى مرآة ، عليك أن ترفع  
 قبعتك تحية لنفسك يا جاستون .

جاستون : أنا .. نتضى ؟  
الدوقة : نعم ، أنت لنفسك . اتنا تفعل ذلك جميعا عندما  
تتصور ما يمثله شخصك . فمن تحسب أن  
تكون أنت حتى تعفى من ذلك ؟  
جاستون : لا أحد يا سيدتى الدوقة .

الدوقة : اجابة رديئة ! أنك تظن أنك شخص عظيم  
الشان . لقد غرتك الضجة التي أثارتها  
الصحف حول حالتك ، هذا كل ما فى الأمر .  
( يريد أن يتكلم ) .

لا تعلق بشيء ، والا أغضبتنى !  
( يطأطئ رأسه وينصرف الى تأمل الأعمال  
الفنية . )

ما رأيك فيه يا هوسپار ؟

هوسپار : كما هو ، غير مكترث .

الدوقة : غير مكترث . هذا هو التعبير الصحيح . لقد

كان على طرف لسانى منذ ثمانية أيام ولكنى لم  
أستطيع أن أنطق به . غير مكترث . انه كذلك  
تماما . ومع هذا ، فان مصيره هو الذى يتقرر ،  
يا للشيطان ! قلسنا نحن الذين فقدنا الذاكرة ،  
ولسنا نحن الذين نبحت عن أهلنا ، أليس كذلك  
يا هوسپار ؟

- هوسپار : بالتأكيد .
- الذوق : فما العمل ؟
- هوسپار : ( هازا كنفيه ، في غير احتفال ) ما زالت لديك  
أوهام ايمان حديث العهد . ها هي ذى سنوات  
كاملة قد انقضت وهو يعارض جميع محاولاتنا  
بهذا الجمود .
- الذوق : لا ينبغي على أى حال أن ننكر العناء الذى  
يتكبده ابن أخى من أجله . ليتك رأيت بأى  
اخلاص عجيب يعالجه ، وبأى حماس يتولى هذه  
المهمة ! أرجو أن يكون قد أفضى اليك  
بالحادث قبل أن تسافر ؟
- هوسپار : لم يكن الدكتور چيبلان فى الملجأ حينما  
مررت لآخذ ملفات جاستون . ولم أستطع  
للأسف أن أنتظره .
- الذوق : ما الذى تقوله لى يا أستاذ ؟ لم تر صغيرى  
أليير قبل أن تسافر ؟ انك تجهل الخبر اذن ؟
- هوسپار : أى خبر ؟
- الذوق : عندما أجرى له آخر خراج للتثبيت ، أفلح فى أن  
يحملة على الكلام وهو فى سكرة الألم . أوه !  
لم يقل كلاما كثيرا .. لقد قال « خنزيرة » .

هوسپار : خنزير ؟

الدوقة : خنزير ، نعم . ستقول لى انها شىء تافه ، ولكن

وجه الطرافة فى الأمر أنها كلمة لم يسمعه  
شخص ينطق بها قط وهو متنبه ، كلمة لا يذكر  
أحد أنه لفظها أمامه ، كلمة ترشحها جميع  
الامكانيات اذن لأن تكون صادرة عن ماضيه .

هوسپار : خنزير ؟

الدوقة : خنزير . انها قرينة صغيرة جدا — أجل —

ولكننا توصلنا الى شىء ما . فان ماضيه لم يعد  
هوة مظلمة . ومن يدري ، لعل هذا « الخنزير »  
أن يرشدنا الى الطريق .

( تحلم ) .

خنزير .. لعله لقب صديق . لعلها شتمة أليفة ،  
من يدرينى ؟ وانما لدينا الآن على الأقل أساس  
صغير .

هوسپار : ( حالما ) خنزير ..

الدوقة : ( تردد ، فى طرب ) خنزير . حينما أقبل البير

يزف الى بشرى هذه النتيجة التى كنا قد  
يئسنا من الحصول عليها ، صاح بى بمجرد أن

دخل من الباب : « عمتي ، لقد نطق مريضى بكلمة من ماضيه : انها شتمة ! » . فارتعشت يا عزيزى . خشيت لفظة قدرة . شاب فى مثل هذا اللطف ، انه ليؤلمنى أن يكون من منبت خسيس . ما كان أغنى صغيرى ألبير عن سهر الليالى — لقد نحل جسم الولد العزيز فى استجوابه وفى تطعيم ردفه بالخراريج — لو أن الشاب استعاد ذاكرته ليقول لنا انه كان قبل الحرب بناء ! ولكن شيئاً فى نفسى يحدثنى بعكس ذلك . انى صاحبة خيال يا أستاذى العزيز . وفى نفسى ما يحدثنى بأن مريض ابن أخى كان رجلاً فى غاية الشهرة . اننى أود كاتباً مسرحياً ، كاتباً مسرحياً عظيماً .

هوسپار : رجل واسع الشهرة ، ذلك احتمال ضعيف .

لأنه لو كان كذلك لعرفه الناس قبل اليوم .

الدوقة : لقد كانت الصور كلها رديئة .. ثم الحرب «

يا لها من محنة ، أليس كذلك ؟

هوسپار : لست أذكر ناحية أخسرى أن كاتباً مسرحياً

معروفاً قد ورد نياً اختفائه لدى الأعداء فى أثناء

الحرب . ان المرء منهم يسجل في المجلات أخبار  
أدنى تنقلاته ، فأولى من ذلك نبأ اختفائه .

**الدوقة** : آه ! يا أستاذ ، انك قاس ! انك تهدم حلما  
جميلا . ولكنه مع ذلك رجل عريق الأصل ، أنا  
واثقة من هذا . انظر الى هيئته وهو في هذه  
الحلة . لقد كسوته لدى خياط ألبير .

**هوسيار** : ( وهو يضع منظاره ) صحيح ! لقد كنت أقول  
في نفسي : « ليست هذه حلة الملجأ .. » .

**الدوقة** : لا تظن يا عزيزي ، مهما بلغ الأمر أنتى كنت  
أحتمل وجوده بقربي وهو في حلة رمادية من  
القطن ذى الوبر ! بدليل أنى قررت أن أنزله  
في القصر وأن أجول به شخصيا بين الأسر التى  
تطالب بمريض ابن أخى .

**هوسيار** : هذه المقابلات فى البيوت فكرة ممتازة .

**الدوقة** : أليس كذلك ؟ لقد قال بهذا صغيرى ألبير منذ  
تولى أمره . ان ما يلزمه لكى يستعيد ماضيه  
هو أن ينغمر فى جو ذلك الماضى بعينه . ولم يكن  
بين هذا الرأى وبين قرار اصطحابه لدى الأسر

الأربع أو الخمس التي قدمت أعجب الأدلة  
 الاخطوة . ولكن جاستون ليس مريضه  
 الوحيد ، فلم يكن مما يدخل في تقدير ألبير أن  
 يتغيب عن الملجأ طيلة وقت المقابلات . هل  
 تطلب من الوزارة أن تخصص اعتمادا لتنظيم  
 مراجعة جدية ؟ انك أدري بيخل أولئك الناس ،  
 ماذا كنت تفعل اذ ذلك في مكاني ؟ لقد أجبت  
 « موجود ! » كما في سنة ١٩١٤ .

هوسپار : مثل رائع !

الدوقة : عندما أذكر أنه في عهد الدكتور بوتفان كانت  
 الأسر تأتي وقد اختلط فيها الحابل بالنابل  
 كل يوم من أيام الاثنين الى الملجأ ، فتراه يضع  
 دقائق ثم ترجع من حيث أتت بأول قطار ! ...  
 من عساه يجد أباه وأمه في مثل تلك الظروف ،  
 اني أسألك ؟ أوه ! لا ، لا ، لقد توفي الدكتور  
 بوتفان ، وحسنا فعل ، فمن واجبنا أن نلزم  
 الصمت ، ولكن أقل ما يمكن أن يقال ، لو  
 لم يكن الصمت فوق القبر فرضا مقدسا ، انه  
 كان غير كفاء ومجرما . . .

هوسپار : أوه ! مجرم ...

الوقفة : لا تخرجني عن طوري . ليته لم يمست كى ألقى في

وجهه هذه الكلمة . مجرم ! لقد كان من جرائمه

تخطيط هذا التعس بين الملاجىء منذ سنة ١٩١٨ .

حينما أذكر أنه احتفظ به في « پوتوبرون »

قراية خمسة عشر عاما دون أن ينطقه بكلمة

واحدة من ماضيه ، وأن صغيرى ألبير ، الذى

لم يتسلمه الا منذ ثلاثة شهور قد جعله يقول

« خنزير » ، يأخذنى العجب ! ان صغيرى

ألبير ، يا أستاذ ، طيب ففسانى عظيم .

هوسپار : وشاب لطيف .

الوقفة : يا للولد العزيز ! بفضل ، أخذ كل هذا يتغير .

مقابلات ، تقارير من خبراء الخطوط ، تحاليل

كيمياوية ، تحريات من الشرطة ، لن يدخر

شئ مما فى طاقة البشر لكى يستعيد مريضه

أهله . ومن الناحية الطبية بالمثل ، فان ألبير

عازم على علاجه بأحدث الطرق . تخيل أنه

أجرى حتى الآن سبعة عشر خراجا للتثبيت .

هوسپار : سبعة عشر ؟ هذا عدد ضخيم !

الدوقة : ( مسرورة ) عمل ضخيم ! وفي غاية الشجاعة  
من جانب صغيرى ألبير . فيجب أن نعترف بأن  
في الأمر مخاطرة .

هوسپار : وماذا كان من أمر جاستون ؟

الدوقة : من أى شيء يجوز له أن يشكو ؟ ان كل شيء  
في سبيل منفعة . سوف تصبح مؤخرته كأنصفاة  
بلا شك ، ولكنه سيجد ماضيه ، وماضيها هو  
أفضل ما لدينا ! أى انسان كبير القلب تراه  
يتردد بين ماضيه وبين جلد مؤخرته ؟

هوسپار : لا محل للسؤال .

الدوقة : ( وهى تلمح جاستون الذى يمر بالقرب منها )  
أليس صحيحا ، يا جاستون ، انك عظيم الامتتان  
للدكتور « جيبلان » اذ استخدم — بعد تلك  
السنين الطويلة التى ضيعها الدكتور « بونفان »  
— كافة الامكانيات لكى يعيد اليك ماضيك ؟

جاستون : كثير الامتتان ، يا سيدتى الدوقة .

الدوقة : ( الى هوسپار ) اننى لا أحمله على أن يقول  
ذلك .

( الى جاستون ) .

آه ! جاستون ، يا عزيزى ، كم هو مؤثر أن  
تقول لنفسك بأن وراء هذا الباب ربما يوجد  
قلب أم يخفق ، أو أب شيخ يتأهب لأن يمد لك  
ذراعيه ! أليس كذلك ؟

جاستون : ( كالطفل ) أنت تعرفين ، ما أكثر ما رأيت  
أولئك العجائز الطيبات يخطئن وهن يقبلننى  
وأنوفهن بليلة ، وهؤلاء الشيوخ الذين التبس  
الأمر عليهم يحكّون وجهى بلحاهم .. تخيلى  
انسانا له أربعمئة أسرة ، ياسيدتى الدوقة .  
أربعمئة أسرة تصر على تدليله . هذا كثير !

الدوقة : فما بالك بأطفال صغار ، فى غاية اللطف !  
أطفال ينتظرون أباهم . أتجرؤ على القول بأنك  
لا تجد نفسك مدفوعا لتقيل هؤلاء الصغار ،  
وجعلهم يتقافزون على ركبتيك .

جاستون : ذلك عمل مرهق يا سيدتى الدوقة . فأحدثهم  
سنا ، لا بد يناهز العشرين .

الدوقة : آه ! هوسيار .. انه يريد تدئيس أقدس الأشياء!

جاستون : ( فجأة حالما ) أطفال .. كان يمكن أن يكون  
لدى الآن أطفال صغار ، حقيقيون ، لو قد  
تركنى الناس أعيش .

اللوقة : انك لتعلم أن هذا كان محالا !  
جاستون : لماذا ؟ لأنتى لم آكن أتذكر شيئا قبل ذلك المساء  
من ربيع سنة ١٩١٨ ، حينما كشفوا وجودى فى  
احدى محطات الفرز ؟

اللوقة : بالضبط ، وا أسفاه ! ..  
جاستون : لقد خاف الناس بلا شك حين رأوا رجلا يعيش  
بلا ماض . ان أمر الأطفال اللقطاء يثير ارتياهم ..  
ومع ذلك فقد أتيح لهم أن يلقنوهم بعض  
المفاهيم الصغيرة . وأما فى حالة رجل ، رجل  
ناضج ، ليس له وطن تقريبا ، وليس له مسقط  
رأس ، ولا تقاليد ، ولا اسم .. فحسأ باللعار !

اللوقة : يا صغيرى جاستون ، كل شىء يثبت لنا ، على  
كل حال ، أنك كنت فى حاجة الى تربية . لقد  
سبق لى أن نهيتك عن استخدام هذه الكلمة .

جاستون : كلمة عار ؟  
اللوقة : لا ..

( تتردد )  
الأخرى .  
جاستون : ( يواصل حلمه ) ولا صحيفة سوابق أيضا ..

هل فكرت في ذلك ، يا سيدتى الدوقة ؟ انك  
تأتمنينى على فضياتك عند تناول الطعام ، وفي  
القصر تقع غرفتى على قيد خطوتين من غرفتك ..  
فماذا لو كنت سفاحا قد قتلت ثلاثة من الناس ؟  
الدوقة : عينك تقولان لى كلا .

جاستون : ما أسعد حظك اذ تناولين شرف افضائهما اليك  
بأسرارهما ! وأما أنا ، فأنظر اليهما أحيانا حتى  
يدركنى الشرود وأنا أحاول أن أجند فيهما  
بعض ما رأته وما لا تريدان أن ترداه . انى  
لا أرى فيهما شيئا .

الدوقة : ( مبتسمة ) ومع ذلك ، فأنت لم تقتل ثلاثة ،  
اطمئن . ولمعرفة هذا ، لا حاجة الى العلم  
بماضيك .

جاستون : لقد وجدونى أمام قطار أسرى قادم من ألمانيا .  
اذن كنت فى الميدان . فلا بد أنى رميت ،  
كالاخرين ، بعض تلك الأشياء التى ما أقسى  
أن تتلقاها على جلودنا البائسة التى تدميها  
شوكة وردة . أوه ! انى أعرف نفسى ، فانى  
لا أحسن التصويب . ولكن فى الحرب كانت

القيادة تعتمد على كثرة الرصاص لا على مهارة  
المقاتلين . فلنأمل رغم ذلك أنتى لم أصب ثلاثة  
رجال .

اللوقة : بماذا تعرف الآن ؟ انى أريد أن أعتقد أنك كنت  
بطلا ، على العكس . أنا كنت أعنى رجالا قتلوا  
فى الحياة المدنية .

جاستون : البطل ، موضع التباس أيضا فى وقت الحرب .  
فالنمام ، والبخيل ، والحسود ، بل والجبان ،  
كان مقضيا عليهم حسب اللوائح بأن يكونوا  
أبطالا جنبا الى جنب ، وتقريبا بنفس الطريقة .

اللوقة : اطمئن . ان شيئا لا يمكن أن يخدعنى يقول لى  
— لى أنا — انك كنت من أبناء أسرة راقية  
جدا .

جاستون : هذا مرجع هزيل لمعرفة ما اذا كنت قد ارتكبت  
شرا ! لا بد أنتى اصطدت .. ان أبناء الأسر  
الراقية يزاولون رياضة الصيد . فلنأمل أيضا  
أنتى كنت صيادا يضحك منه الجميع وأنتى  
لم أصب ثلاثة حيوانات .

## الدوقة

: آه ! يا عزيزي ، لا بد من حب جم لكى يصغى  
اليك المرء دون أن يضحك . انك تبالغ في  
ملاحظاتك الدقيقة .

## جاستون

: كم كنت مرتاح البال فى الملجأ .. كنت قد ألفت  
نفسى ، كنت أعرف نفسى معرفة وثيقة ،  
وهأنذا يجب على أن أفارق نفسى ، وأن أجد  
نفسا أخرى وأرتديها مثل سترة قديمة . هل  
سأتعرف نفسى غدا ، أنا الذى لا أشرب  
الا الماء ، فى ابن وقاد المصاييح ، الذى لا يكتفى  
بأقل من أربعة لترات من النيذ الأحمر القراح  
يوميًا ؟ أو ، رغم نفاذ صبرى ، فى ابن تاجرة  
الخردوات التى قد جمعت وصنفت ألفا ومائتى  
نوع من الأزرار ؟

## الدوقة

: أنا ان كنت قد حرصت على أن نبداً بآل رينو  
هؤلاء ، فذلك لأنهم أسرة راقية جدا .

## جاستون

: هذا يعنى أن لديهم بيتا جميلا ، ورئيس خدم  
حسن المظهر ، ولكن أى ولد كان لهم ؟

## الدوقة

: ( وهى ترى رئيس الخدم داخلا ) سنعرف ذلك  
فى الحال .

( توقفه بحركة ) .

لحظة ، يا صديقي ، قبل أن تدخل سادتك .  
جاستون ه هلا انصرفت برهة الى الحديقة ،  
سوف نستدعيك .

جاستون : طيب ، يا سيدتي الدوقة .

الدوقة : ( وهي تخاطبه على حدة ) ثم ، أرجوك ،  
لا تخاطبني الآن بلقب سيدتي الدوقة . هذه  
كلفتة كانت تصلح أيام لم تكن سوى مريض  
يعالجه ابن أخي .

جاستون : حسنا ، يا سيدتي .

الدوقة : هيا . ولا تحاول أن تنظر من ثقب الباب .

جاستون : ( وهو ينصرف ) لست متعجلا . لقد سبق لي  
أن رأيت ثلاثمائة وسبعا وثمانين أسرة .

الدوقة : ( ناظرة اليه وهو يخرج ) ولد لذيذ ! آه ه  
يا أستاذ ، عندما يخطر على بالي أن الدكتور  
« بوتقان » كان يستخدمه في عزق الخس ،  
أرتعش !

( للرئيس الخدم ) .

تستطيع أن تدخل سادتك ه يا صديقي .

( تأخذ ذراع هوسيار ) .

أنا في شدة التأثر . يا عزيزي . أحس أنني مقدمة  
على صراع لا رحمة فيه ضد القدر ، ضد جميع  
القوى الخفية في الدنيا .. لقد لبست ثوبا  
أسود ، فقد رأيت أن ذلك أنسب ما يليق .

( يدخل آل رينو . من كبار أثرياء الريف )

مدام رينو : { على الباب } أترون ، لقد قلت لكم ! انه ليس  
هنا .

هوسپار : لقد قلنا له بكل بساطة أن يتعد لحظة ،  
يا سيدتي .

جورج : اسمح لي بأن أقدم نفسي . جورج رينو .  
( مقدا سيدتين تصحبانه ) .

أمي وزوجتي .

هوسپار : نوسيان هوسپار . أنا وكيل الدعوى المكلف  
بمصالح المريض المادية . السيدة الدوقة دييون  
— ديفور ، رئيسة مختلف الجمعيات الخيرية  
في « پونتوبرون » ، وقد تفضلت ، في غياب  
ابن أخيها الدكتور جيلان ، الذي تعذر عليه  
أن يغادر الملجأ ، باصطحاب المريض .  
( تحيات ) .

**الدوقة** : نعم ، أنا ساهمت — بكل قواى الضعيفة —  
فى عمل ابن أختى . لقد بذل نفسه فى هذه المهمة  
وبأى عزيمة ، وأى إيمان ! ..

**مدام رينو** : سوف نحفظ له امتنانا أبديا على ما أولى صغيرنا  
چاك من عناية ، يا سيدتى .. وما كان أسعدنى  
لو استطعت أن أقول له ذلك شخصا .

**الدوقة** : أشكرك ، يا سيدتى .

**مدام رينو** : ولكنى أسألكما المعدرة .. تفضلا بالجلوس .  
يا لها من لحظة مؤثرة ..

**الدوقة** : ما أشد ما أفهمك ، يا سيدتى !

**مدام رينو** : تصورى يا سيدتى الى أى حد فعلا نفذ  
صبرنا .. لقد انقضت سنتان الآن منذ ذهبنا  
الى الملجأ للمرة الأولى ..

**جورج** : وبالرغم من مطالباتنا المتصلة ، لم يكن لنا بد  
من الانتظار حتى اليوم لكى نحصل على هذه  
المقابلة الثانية .

**هوسيار** : لقد كان عدد الملفات كبيرا جدا ، يا سيد .  
تصور أنه كان فى فرنسا أربعمائة ألف مفقود .  
أربعمائة ألف أسرة ، وقل من يقبل التخلي عن  
الأمم ، صدقنى .

مدام رينو : ولكن ستان ، يا سيدى ! .. ثم ليتك عرفت  
فى أية ظروف أرونا اياه اذ ذاك .. أظن أنك  
بريئة من ذلك يا سيدتى ، وبالمثل السيد ابن  
أخيك ، لأنه لم يكن هو مدير الملجأ فى تلك  
الأيام .. لقد مر المريض بجانبنا وسط تدافع  
الناس دون أن نستطيع حتى أن نقر به . كنا  
حوالى أربعين شخصا معا .

الدوقة : مقابلات الدكتور بونفان كانت فضائح حقا !

مدام رينو : فضائح ! .. أوه ! لقد أصررنا .. كان على  
ولدى ، وقد استدعته أعماله ، أن يعود ،  
وأما أنا وكنتى ، فقد مكثنا فى الفندق ، على  
أمل أن تقر به . وبإعناق النقود ، دبر لنا أحد  
الحراس مقابلة دامت بضع دقائق ، كانت  
للأسف بلا نتيجة . ومرة أخرى ، استطاعت كنتى  
أن تحل محل متعمدة الكساء التى مرضت .  
فأرأته طول فترة ما بعد الظهر ، ولكن دون أن  
تتمكن من أن تقول له شيئا ، اذ لم تتح لها  
فرصة الاقتراف به .

الدوقة : ( لثالنتين ) ما أشبه هذا بالروايات الخيالية !

ولكن لو انكشف أمرك ؟ لعلك تعرفين الخياطة  
على الأقل ؟

قالتين : نعم يا سيدتى .

الدوقة : ولم تستطيعى أبدا أن تنفردى به ؟

قالتين : لا ، يا سيدتى ، أبدا .

الدوقة : آه ! ذلك الدكتور بونفان ، ذلك الدكتور  
بونفان مذنب كبير !

جورج : الذى لا أجد له تفسيرا ، أنه رغم جميع الأدلة  
التي أوردناها ، كان من الممكن التردد بين عدة  
أسر .

هوسپار : هذا شيء غريب ، نعم ، ولكن تصوروا أنه  
بعد تحقيقاتنا الأخيرة ، التي كانت في غاية  
الدقة ، ما زالت هناك — معكم — خمس أسر  
تكاد تتساوى في الفرص ..

مدام زينو : خمس أسر ، يا سيدى ، هذا محال ! ..

هوسپار : بلى ، يا سيدتى ، للأسف ! ..

الدوقة : ( تقرأ في مفكرتها ) أسر بريجو ، بوجران ،

جريجو ، لوجروپاتر ، ومادينسال . ولكن ينبغي  
أن أقول لكم توا اننى اذا كنت قد بدأت بكم ،  
فذلك لأنى أحمل لكم كل عطفى .

مدام رينو : انى أشكرك ، يا سيدتى .

الدوقة : لا ، لا ، لا تشكرينى . انى أقول لك ما أشعر

به . لقد أوجت الى رسالتك ، من مستهلها ،  
بأنكم أهل لطف ، وهو احساس تؤيده لقيانا  
من جميع الوجوه .. ومن بعدكم ، على أى  
حال ، يعلم الله فى أى طبقة سنتردى ! هناك  
بائعة لبن ، ووقاد مصاييح ..

مدام رينو : وقاد مصاييح ؟

الدوقة : وقاد مصاييح ، نعم ، يا سيدتى ، وقاد مصاييح !

اتنا نعيش فى عصر لم يسمع به أحد ! هؤلاء  
الناس لديهم كل أنواع الغرور .. أوه ! ولكن  
لا تخافوا ، فما دمت على قيد الحياة لن يعطى  
جاستون لوقاد مصاييح !

هوسيار : ( لجورج ) نعم ، كان قد أعلن أن هذه الزيارات

ستجرى بترتيب ورود الطلبات — وهذا ما كان  
منطقيا — ولكن ، لما كنتم على هذا النحو آخر  
الناس ، شاءت السيدة الدوقة دييون — ديفور ،  
فى شىء من التهور بلا شك ، أن تتخطى الحدود  
المرسومة ، وأن تبدأ بالحضور لديكم .

مدام رينو : فيم التهور ؟ انى أتخيل أن القائمين على أمر المريض أحرار ..

هوسپار : أحرار ، نعم ، ربما ، ولكنك لا تستطيعين أن تعرفي ، يا سيدتى ، أى سيل جارف من الأهواء — المعرضة فى أكثر الأحيان ، للأسف ! — يحوط جاستون . ان معاشه بوصفه جنديا مصابا ، ولم يتح له أن يقبضه قط ، يجعله على رأس ثروة حقيقية صغيرة .. تصورى أن بقايا حساب هذا المعاش وأرباحه المركبة تبلغ اليوم أكثر من مائتين وخمسين ألف فرنك .

مدام رينو : كيف تستطيع تلك المسألة المالية أن تتدخل فى توجيه مصير انسان ؟

هوسپار : انها تستطيع ، لسوء الحظ يا سيدتى . اسمحى لى ، فى هذا الشأن ، بكلمة عن الوضع القانونى للمريض ..

مدام رينو : فيما بعد ، يا سيد ، فيما بعد ، أرجوك ..

الكوفة : از الأستاذ هوسپار يحمل نصوص القوانين محل القلب ! ولكن بما أنه لطيف جدا ..  
( تقررص هوسپار فى استخفاء ) .

فسيذهب ليأتينا بجاستون فى الحال !

هوسپاز : ( يقلع عن محاولة المقاومة ) انى أنزل على  
رغبتيك ، يا سيداتي . أسألكن فقط ألا تصرخن  
وألا تترمين عليه . فهذه التجارب التي تجددت  
مرارا تجعله فى حالة عصبية مؤلمة غاية الألم .  
( يخرج ) .

الذوقة : لا بد أنك متلهفة الى رؤيته ، يا سيدتى .  
مدام رينو : هيهات أن يكون لأم غير هذا الشعور ،  
يا سيدتى .

الذوقة : آه ! أنا متأثرة من أجلك !  
( لفالنتين ) .

وأنت قد عرفت بالمثل مريضنا — أعنى هذا  
الذى تظنون أنه مريضنا — يا سيدتى ؟

فالنتين : أجل ، يا سيدتى . لقد قلت لك اننى ذهبت الى  
الملجأ .

الذوقة : هذا صحيح ! هل شرد بالى ..

مدام رينو : جورج ، ابنى الأكبر ، تزوج فالنتين وهى صبية ،  
فجمعت بين الصغيرين زمالة حقيقية . لقد كانا  
يتبادلان مودة كبيرة ، أليس كذلك يا جورج ؟

جورج : ( فى برود ) كبيرة ، يا أمى .

البوقة : ان زوجة الأخ ، كالأخت تقريبا ، أليس كذلك  
يا سيدتى ؟

قالنتين : بالتأكيد ، يا سيدتى .

البوقة : لا بد أنك سعيدة الى حد الجنون بلقائه .

( قالنتين ، متضايقه ، تنظر الى جورج  
الذى يتولى عنها الجواب ) .

جورج : سعيدة جدا . كأخت .

البوقة : انتى صاحبة خيال كبير .. لقد تخيلت — هل

أقول لكم ذلك ؟ — وجود امرأة يكون قد  
شغف بحبها لكى تتعرفه وتبادلها قبلة غرام ،  
هى الأولى عند خروجه من ذلك القبر . ولكنى  
أرى أن هذا لن يكون .

جورج : ( واضحا ) كلا ، يا سيدتى . هذا لن يكون .

البوقة : فليذهب حلمى الجميل !

( تمضى الى النافذة ) .

ولكن ما أشد ببطء الأستاذ هوسيار ! .. ان  
حديثكم واسعة جدا وهو ضعيف البصر بعض  
الشيء : أراهن على أنه قد تاه .

قالنتين : ( بصوت خافت لجورج ) لماذا تنظر الى هكذا ؟

لن تخرج الآن كل حكاياتك القديمة ؟

جورج : ( فى جد ) عندما غفرت لكما ، محوت كل شىء .

فالنتين : اذن لا ترمى بنظرة شذراء كلما تنطق هذه العجوز المجنونة بعبارة !

مدام رينو : ( وهى لم تسمع ولا يبدو عليها أنها تعلم شيئاً من هذه القصة ) يا لها من صبية طيبة ، قالتين . انظر ، يا جورج ، انها شديدة التأثر .. حسن أن تتذكر هكذا صغيرنا چاك ، أليس كذلك يا جورج ؟

جورج : نعم ، يا أمى .

اللوقة : آه ! ها هو ذا !

( هوسپار يدخل بمفرده ) .

كنت متأكدة من ذلك ، أنت لم تجده ؟

هوسپار : بلى . ولكنى لم أجرؤ على أن أزعجه .

اللوقة : ما معنى هذا ؟ ماذا كان يفعل ؟

هوسپار : كان واقفاً أمام تمثال .

فالنتين : ( تصيح ) تمثال ديانا آلهة الصيد ، الذى يتوسط

مقعدا دائريا فى أقصى الحديقة ؟

- هوسپار : نعم . انظروا ، يمكن رؤيته من هنا .  
( الجميع ينظرون ) .
- جورج : ( فجأة ) وبعد ، على أى شىء يدل هذا ؟
- الدوقة : ( لهوسپار ) شىء مشير ، يا عزيزى !
- فالتين : ( فى رقة ) لست أدرى . أظن أننى أتذكر أنه  
كان يجب كثيرا هذا التمثال ، هذا المقعد ..
- الدوقة : ( لهوسپار ) اتنا نحترق ، يا عزيزى ، اتنا  
نحترق .
- مدام رينو : أنت تدهشيننى ، يا صغيرتى فالتين . هذا  
الركن من الحديقة كان جزءا من أملاك هسيو  
دوباتون . لقد اشترينا بالفعل هذه القهبة من  
الأرض أيام چاك ، ولكننا لم نهدم الحائط  
الا بعد الحرب .
- فالتين : ( يساورها الاضطراب ) لا أدرى . لا بد أنك  
على حق .
- هوسپار : كان مظهره من الغرابة وهو واقف أمام هذا  
التمثال بحيث لم أجرؤ أن أزعجه قبل أن آتى  
لأسألكم هل لهذه الواقعة معنى . وما دام ليس  
لها معنى ، فسأذهب لآتى به .  
( يخرج ) .

جورج : ( بصوت خافت لقاتلتين ) هل على هذا المقعد  
كنتما تلتقيان ؟

قاتلتين : لا أعلم ماذا تريد أن تقول .

اللوقة : سيدتى ، برغم تأثرك الواجب ، أستحلفك أن  
تظلى متجلدة .

مدام رينو : اتكلى على ، يا سيدتى .

( يدخل هوسبار مع جاستون . مدام رينو  
تتمتم ) .

آه ! انه هو نفسه ، هو نفسه ..

اللوقة : ( وهى تذهب نحو جاستون فى حركة مسرحية  
كبيرة وتحجب عنه الآخرين ) جاستون ، حاول  
ألا تفكر فى شىء ، اترك نفسك على سجيتهما ،  
دون بذل مجهود . أمغن النظر فى جميع  
الوجوه ..

( صمت ، الجميع جامدون . يمر جاستون  
أولا أمام جورج ، وينظر اليه ، ثم مدام  
رينو . وأمام قاتلتين ، يتوقف لحظة .  
تتمتم فى غير جلاء ) .

قالتين : حيبى ..

( ينظر اليها دهشا ، ولكنه يمر ويستدير  
نحو الدوقة ، لطيفا ، مباحدا ما بين يديه  
فى حركة عجز ) .

جاستون : ( فى أدب ) متأسف ..

تسقط الستارة



## اللوحة الثانية

باب دن طراز لويس الخامس عشر مغلوق مصراعاه ، قد اجتمع  
أمامه خدم آل رينو ، يتهامسون . الطاهية تجلس القرفصاء  
لتنظر من ثقب الباب ؛ والآخرون ملتفون حولها .

**الطاهية** : ( للآخرين ) انتظروا ، انتظروا .. الجميع  
ينظرون اليه كأنه حيوان عجيب . والولد  
المسكين لا يدرى أين يجلس .

**السائق** : أرينى ..

**الطاهية** : انتظر ! انه قام فجأة . وقلب فى قيامه فنجانه .  
يبدو عليه أنه ضاق بأسئلتهم .. هو ذا السيد  
جورج يأخذه على جنب الى الشباك . انه  
يمسكه من ذراعه ، بلطف ، كأن شيئاً  
لم يحدث ..

**السائق** : يا خبر ! ..

**جولييت** : آه ! لو سمعتموه ، السيد جورج ، عندما اكتشف  
خطاباتها بعد الحرب ! .. مع ذلك ، يظهر

عليه أنه وديع كالحمل : انسا ، أنا أستطيع أن  
أؤكد لكم أنه عمل البدع !

**الوصيف** : تريدين رأيي : لقد كان على حق ، هذا الرجل .

**جوليت** : ( غاضبة ) نعم ؟ كان على حق ؟ هل ينهش

الانسان الأموات ؟ تظن أنت أن نهش الأموات  
شيء نظيف ؟

**الوصيف** : كان على الأموات ألا يبدأوا بأن ينتهكوا  
شرفنا !

**جوليت** : آه منك ! منذ تزوجنا ، لا توجد غير هذه

الكلمة في فمك ! ليس الأموات هم الذين  
ينتهكون شرفك . انهم مساكين ممنوعون من  
هذا ، بل أولئك هم الأحياء . أما الأموات ،  
فليس لهم شأن بحكايات الأحياء .

**الوصيف** : يا سلام ! على هذا يكون الأمر مريحا جدا .

تصنعين زوجا منهوك الشرف ، ثم هيا ! لا من  
رأي ولا من عرف ، راحت عليك ! يكفي أن  
يموت الواحد منهم .

**جوليت** : طبعا ! أن يموت الواحد ، هذا شيء صعب !

**الوصيف** : وماذا عن انتهاك الشرف ؟

**جوليت** : أوه ! أنت تسرف في الكلام عنه ، وسينتهي هذا بأن يصيبك .

**الطاهية** : ( وقد دفعها السائق ) انتظر ، انتظر . هم يذهبون جميعا الى آخر الحجرة الآن . ويعرضون عليه صوراً ..  
( وهي تخلى مكانها ) .

يا للأسف ! ثقب أبواب زمان ، كانت العين ترى منها ، أما هذه الأقفال الحديثة .. فالأمر بسيط : على الناظر أن يقلع عينيه .

**السائق** : ( منحيا بدوره ) انه هو ! انه هو ! أنا أعرف سحنته القذرة ، هذا الولد الدون !

**جوليت** : قل لي ، لماذا تقول هذا ، أنت ؟ اقل أنت فمك القذر !

**الوصيف** : ولماذا تدافعين عنه ، أنت ؟ ألا تستطيعين أن تفعل كالأخرين ؟

**جوليت** : أنا ، أنا كنت أعزه ، السيد چاك . ما قولك في هذا ، أنت ؟ أنت لم تعرفه . أما أنا ، فكنت أعزه .

**الوصيف** : يعني ماذا ؟ كان سيدك . كنت تمسحين له حذاءه .

- جوليت** : انما كنت أعزه ، ماذا ؟ انه بخلاف الناس .
- الوصيف** : مفهوم ! مثل أخيه .. بهيمة عظيمة !
- السائق** : ( مخلصا مكانه لجوليت ) أرذل ، يا شيخ ، أرذل ! كم جعلنى أنتظر حتى الساعة الرابعة صباحا أمام الحانات .. وفى الفجر ، بعد أن تتجمد أفت من البرد ، كان سيادته يخرج ، محتقن الوجه ، ورائحة الخمر تفوح منه على بعد ثلاثة أمتار ، ويأتى سيادته ليتقياً على وسائد العربة .. آه ! الدون !
- الطاهية** : كلامك فى محله .. كم مرة غمست يدى فى ذلك ، أنا التى أكلمك ! وعمر سيادته ثمانى عشرة سنة .
- السائق** : والعيدية كانت شتائم .
- الطاهية** : وضرب ! أنت تذكر ، فى تلك الأيام كان فى المطبخ صبى مسكين ، كل مرة كان يراه فيها ، كان لا بد يدعك له أذنيه أو يخبطه برجله .
- السائق** : ومن غير سبب ! كان ولد دون صحيح . ولما علمنا أن عمره انقصف سنة ١٩١٨ ، نحن

لسنا شرا من الناس ، ولكننا قلنا انه يستحق ذلك .

رئيس الخدم : هيا ، هيا ، الآن يجب الانصراف .

السائق : انما ، ماذا ؟ .. أأست من رأينا أنت ، يا سيد « چول » ؟

رئيس الخدم : أنا لو تكلمت ، أستطيع أن أقول عنه أكثر منكم ، هيا ! .. لقد سمعت شجارهم على المائدة . بل كنت هناك عندما رفع يده على السيدة والدته .

الطاهية : على والدته ! .. وهو في الثامنة عشرة ! ..

رئيس الخدم : والحكايات الصغيرة مع السيدة قائلتين ، يمكنني أن أقول اننى أعرفها ، بالتفصيل ..

السائق : اذن ، اسمح لى أن أقول انك كنت فى منتهى الطبية لما أغمضت عينيك ، يا سيد « چول » .

رئيس الخدم : حكايات السادة من شأن السادة ..

السائق : صحيح ، لكن مع ولد صغير من هذا النوع .. أفسحى قليلا كى أرى شكله الآن .

چولييت : (تأركة مكانها) آه ! هو ، هو ، أنا متأكدة .. السيد چاك ! أتعرف ؟ لقد كان شابا جميلا

فى تلك الأيام . جميلا بحق . وممتازا !

رئيس الخدم : دعك من هذا ، بين الشبان من هم أجمل ،  
وأصغر !

جوليت : صحيح : من عشرين سنة تقريبا . هذا شيء  
صعب . أظن أنه سيحدثني قد تغيرت كثيرا ؟

رئيس الخدم : وماذا يهمك من هذا ؟

جوليت : أبدا ، لا شيء ..

رئيس الخدم : ( بعد تفكير ، بينما يتغامز سائر الخدم من وراء  
ظهره ) ألا قولي أنت .. ما السر في أنك تتنهدين  
منذ علمت أنه ربما يعود ؟

جوليت : أنا ، لا شيء .

( يتضحك الآخرون ) .

رئيس الخدم : ما السر في أنك تسوين شكلك أمام المرأة  
وتسألين عما إذا كنت تغيرت ؟

جوليت : أنا ؟

رئيس الخدم : كم كان عمرك عندما سافر للحرب ؟

جوليت : خمس عشرة سنة .

رئيس الخدم : ساعى البريد ، هل كان أول رجل في حياتك ؟

جوليت : بدليل ما قلت لك أنه كمنى وناولنى أدوية  
منومة ..

( يتضحك الآخرون ) .

رئيس الخدم : أنت متأكدة من أنه كان الأول الحقيقي في حياتك ؟

جوليت : أهذا سؤال ؟ تلك أشياء تتذكرها البنت . بل وأنه تمهل في وضع علبته ، ذلك الكاسر ، وأن كل الخطابات وقعت في المطبخ ..

السائق : (وما زال ينظر من ثقب الباب) هذه الثالاثين ، لا تحول عنه عينيها .. انى أراهنكم على أنه لو مكث هنا ، لتمتع الأب جورج بزواج آخر من القرون يقدمه له أخوه .

رئيس الخدم : (يحتل مكانه) شىء منفر .

السائق : لو كان يحبهم ، السيد «چول» بهذا الشكل ..

الوصيف : انما هم يضحكوننى بقوله «فقدان الذكرى» ! بالفهم ، اذا كانت هذه هى عائلة هذا الشاب لكان عرف أهله منذ الصباح . ان «فقدان الذكرى» لا يبقى طويلا .

الطاهية : غير أكيد ، يا صغيرى ، غير أكيد . أنا التى أكلمك ، أحيانا أعجز عن أن أتذكر هل ملحت مرقى أم لا .

الوصيف : انما .. الأهل !

**الطاهية** : أوه ! ما كان يهتم بأهله ، هذا الولد المفسود ..

**رئيس الخدم** : ( على تقب الباب ) أما عن أنه هو ، فانه هو !

أقطع رأسى لو لم يكن هو .

**الطاهية** : ولكن ، بما أنهم يقولون ان هناك خمس عائلات

أخرى ، لديها نفس الأدلة .

**السائق** : أتريدون أن أقول لكم أنا أحسن كلمة في

الموضوع ؟ ليس من المرغوب فيه لا بالنسبة لنا

ولا بالنسبة لأحد ألا يكون ذلك الولد الدون

قد مات ! ..

**الطاهية** : آه ! لا اذن ..

**چوليت** : أريد أنا أن أراك في محله ، وقد مت ..

**رئيس الخدم** : هذا ، بالتأكيد ، شيء لا تتمناه للناس ، ولا له ،

طبعاً ! لأن الحياة التى تبدأ بهذا الشكل ،

لا تنتهى أبداً فهياة خير .

**السائق** : ثم انه قد أخذ يجب الحياة الهادئة ، الخالية من

المشاكل ، فى ملجئه . ماذا عساه أن يعلم من

أخبار ، ذلك الأخ ؟ .. حكايته مع ابن جرانشان ،

حكاية قالتين ، حكاية الخمسمائة ألف فرتك ،

وما لا نعرفه من الحكايات الأخرى ..

رئيس الخدم : هذا مؤكد . اني أفضل أن أكون في مكانتي  
لا في مكانه .

الوصيف : ( ينظر من ثقب الباب ) اتجهوا معاهم يقومون!  
سيخرجون من باب الردهة .  
( يتفرق الخدم ) .

جوليت : ( وهي خارجة ) سيدي چاك ، مع ذلك ..

الوصيف : ( يتبعها ، ويقول مرتابا ) ماذا تقصدين ؟ سيدي  
چاك ؟

جوليت : أبدا ، لا شيء .  
( خرجوا ) .

### تسقط الستارة



## اللوحة الثالثة

غرفة جاك رينو ، وما يفضى إليها من الممرات المظلمة الطويلة في هذه الدار العتيقة من دور أهل الشراء . من ناحية ، ردهة مبلطة ينتهي بها سلم حجري عريض ذو سياج من الحديد المشغول . يظهر من السلم سلم رينو وجورج وجاستون ويجتازون الردهة .

مدام رينو : عفوا ، انى أسبقكما . ها هنا ترى الممر الذى

كنت تسير فيه لتذهب الى غرفتك .

( تفتح الباب ) .

وهذه هي غرفتك .

( دخل ثلاثهم الغرفة ) .

أوه ! يا للاهمال ! لقد أمرت مع ذلك بفتح

خشب هذه النوافذ .

( تفتحها ؛ يفمر النور الغرفة ؛ الأثاث من

صميم طراز سنة ١٩١٠ ) .

جاستون : ( ناظرا حوله ) غرفتى .

مدام رينو : لقد أردت أن تزخرفها حسب تصميماتك . كم

كان ذوقك غصريا !

جاستون : يبدو أنتى كنت أخص بحبى تلك الأزهار .

جورج : أوه ! لقد كنت جريئاً جداً ، وأنت ما زلت فى ذلك الطور !

جاستون : هذا ما أراه .

( يلاحظ قطعة أثاث مضحكة ) .

ما هذا ؟ شجرة فى مهب العاصفة ؟

جورج : لا ، انه حامل لدفاتر الموسيقى .

جاستون : هل كنت موسيقياً ؟

مدام رينو : كنا نود أن نعلمك « الكمان » ، ولكنك

لم تقبل أبداً . وكان غضبك يحتدم عندما كنا

نريد أن ندفعك الى دراسة الموسيقى . كنت

تبقر آلاتك بركلها . ولم يقاوم الا هذا

الحامل .

جاستون : ( يتسم ) ليته لم يقاوم .

( يتجه الى صورة ) .

هذا هو ؟

مدام رينو : نعم ، هذا أنت ، فى الثانية عشرة من عمرك .

جاستون : كنت أتصور قصى أشقر ، حيا .

چورج : كان شعرك كستائيا داكنا جدا . وكنت تلعب

كرة القدم طول النهار ، وتكسّر كل شيء .

مدام رينو : ( وهى تريبه حقيية ضخمة ) انظر هذا الذى

أمرت بانزاله من المخزن ..

جاستون : ما هذا ؟ حقيبتى القديمة ؟ انكم سوف تنتهون

بأن تجعلونى أعتقد أنى عشت فى عهد « عودة

الملكية » ..

مدام رينو : لا ، يا أبله . انها حقيية العم جوستاف ، انها

لعبك .

جاستون : ( يفتح الحقيية ) لعبى ! .. كان لى لعب ، كباقى

الناس ؟ هذا صحيح ، مع أنى لم أعد أعلم أنى

كنت أقتنى لعبا .

مدام رينو : انظر ، هذه نبتك .

جاستون : نيلة .. بل يبدو على هذا الشيء أنه نيلة

لا يستهان بها ..

مدام رينو : كم كنت تقتل بها من العصافير ، يا الهى ! لقد

كنت وحشا حقا .. أو تعلم ، انك ما كنت تقنع

بعصافير الحديقة .. لقد كان لى قفص به

عصافير ثمينة ؛ ذات مرة ، دخلت فيه وقتلتها  
كلها .

جاستون : العصافير ؟ عصافير صغيرة ؟

مدام رينو : نعم ، نعم .

جاستون : كم كان عمري ؟

مدام رينو : ست سنين ، ربما تسع سنين ..

جاستون : ( يهز رأسه ) لست أنا .

مدام رينو : بلى ، بلى ..

جاستون : لا . في الساعة من عمري كنت أذهب الى

الحديقة ومعى فتات الخبز ، بالعكس ، وأنادى

العصافير لكي تأتي وتنقر في يدي .

جورج : يا ويلها لو جاءت ، كنت تلوى عنقها .

مدام رينو : والكلب الذي كسر له رجلا بحجر ؟

جورج : والفأر الذي كان يجرد في طرف خيط ؟

مدام رينو : والسناجيب ، وبنات عرس فيما بعد ، والظربى ،

كم قتلت منها ، يا الهى ، تلك الحيوانات

الصغيرة ! كنت تحنط أجملها ؛ هناك مجموعة

كاملة منها ، ينبغي أن أمر باخراجها .

( تنقب في الحقيبة ) .

هذه سكاكينك ، وبتدقياتك الأولى ..

جاستون : ألا توجد لعب ، عرائس « بوليشينيل » ،

و « فلك فوج » ؟

هدام رينو : منذ كنت طفلا صغيرا ، لم ترغب الا في لعبك

العلمية . ها هي كراتك الأرضية وأنايب

الاختبار والمغناطيسات الكهربائية وأنايب

التقطير ورافعتك الميكانيكية .

جورج : كنا نريد أن نجعل منك مهندسا لامعا .

جاستون : ( يهقهه ) منى ؟

هدام رينو : ولكن كتب الجغرافيا كانت أشد ما يروقك .

كنت على كل حال الأول في الجغرافيا دائما ..

جورج : في سن العاشرة ، كنت تستمع أسماء المحافظات

من الأول للآخر ، وبالعكس !

جاستون : وبالعكس .. صحيح أنني فقدت الذاكرة ..

ومع ذلك حاولت أن أتعلّمها من جديد في

الملجأ ، ولو من الأول للآخر فقط .. لنسعد

حقيقية المفاجآت هذه . أظن أنها لن تفيّدنا

بشيء .. فليست أتصور نفسي على الإطلاق هكذا

في طفولتي .

( أغلق الحقيبة ، وراح يهيم في الغرفة ،  
يلمس الأشياء ، ويجلس في المقاعد الكبيرة .  
يسأل فجأة ) .

كان له صديق ، ذلك الولد الصغير ؟ صبي  
آخر لا يفارقه ، ويبادلّه الأشياء وطواع  
البريد ؟

مدام رينو : ( مسترسلة ) أجل ، أجل . كان لك كثير من  
الرفاق . طبعاً ، أصححاً بك في المدرسة ، وفي  
الجمعية ! ..

جاستون : نعم ، انما .. لا أعنى الزملاء ، بل صديقا ..  
أترين ، قبل أن أسألك عن عرفت من  
النساء ..

مدام رينو : ( مستاءة ) أوه ! لقد كنت صغير السن جداً ،  
يا جاك ، عندما رحلت !

جاستون : سوف أسألك عنهن مع ذلك .. ولكن قبل  
هذا السؤال ، يبدو لي أهم جداً أن أسألك  
عن الصديق الذي اخترته .

مدام رينو : انك تستطيع أن ترى صورهم جميعاً في فرق  
المدرسة . بعد ذلك ، كان هناك من تخرج معهم  
في المساء .

جاستون : فمن هو الذى كنت أفضل الخروج معه ،  
وأحكى له عن كل شيء ؟

هدام رينو : لم تكن تفضل أحدا ، فى الواقع .

( تكلمت بسرعة ، بعد أن أقلت الى جورج )

• نظرة مستخفية . جاستون ينظر اليها ) .

جاستون : اذن لم يكن لابنك صديق ؟ خسارة . أعنى

خسارة لو كشفنا أنه أنا . أعتقد أن الإنسان ،

حينما يصبح رجلا ، لا يمكنه أن يجد مصدرا

للغذاء أكبر من صورة لطفولته تنعكس فى عيني

صديق طفولته . بل وأعترف لكما بأنتى من هذا

الصديق الذى أتخيله كنت آمل أن ألتقى

ذاكرتى — كما ألتقى خدمة عادية يقدمها لى

بطبيعته .

جورج : ( بعد تردد ) أوه ! أقصد أن أقول .. صديقا هـ

أجل ، كان لك صديق وكنت تحبه جدا جدا .

بل واحتفظت به حتى سن السابعة عشرة .. اتنا

لم نحدثك عنه لأنها قصة أليمة جدا ..

جاستون : هل مات ؟

جورج : لا ، لا . لم يمت ، وانما افترقتما ، تخصصتما ..

نهائيا .

جاستون : نهائيا ، في سن السابعة عشرة !  
( برهنة )

وهل عرفت سبب الخصام ؟

جورج : بشكل غامض ، بشكل غامض ..

جاستون : لم لم يسع أخوك ولم يسع هذا الفتى الى  
الالتقاء من ذلك الحين ؟

مدام رينو : انك تنسى أن الحرب قلمت . ثم ، أنت عارف ..

هذا ما حدث . لقد تشاجرتما من أجل شيء

تافه ، تضاربتما كما يفعل الصبية في هذه

السن .. ودون تعمد منك ، بلا شك ، أتيتم

حركة عنيفة .. حركة يؤسف لها خصوصا -

دفعته من على السلم . وفي أثناء سقوطه ،

أصيب في عموده الفقري . واقتضى الأمر أن

يمكث في الجبس مدة طويلة جدا ، ثم ظل

مقعدا . انك تفهم الآن كم كان صعبا ، أليما ،

حتى بالنسبة لك ، أن تحاول الالتقاء به .

جاستون : ( بعد برهة ) أفهم . وأين حدث هذا ، هذا ؟

العراك ، في المدرسة ، في بيته ؟

مدام رينو : ( بسرعة ) لا ، هنا . لكن دعنا من الكلام في

هذا الموضوع الفظيع ، فهو مما يحسن بك

ألا تذكره يا جاك .

**جاستون :** إذا استعدت ذاكرتي في شيء ، ينبغي أن

أستعيدها في كل شيء ، انكم تعلمون ذلك ..

ان ماضى الانسان لا يباع له بالتجزئة . أين

هو ذلك السلم ه أود أن أراه ؟

**مدام رينو :** هنا ، بجوار غرفتك يا جاك . ولكن ما فائدة

ذلك ؟

**جاستون :** ( لجورج ) هل تسمح بأن ترشدني ؟

**جورج :** ما دمت تريد ، ولكنى لا أرى حقاً لماذا تريد أن

تعين هذا المكان ..

( ذهبوا الى الردهة )

**مدام رينو :** ها هو ذا ، هنا ..

**جورج :** هنا ..

**جاستون :** ( ينظر حوله ، ينحني على السياج ) أين

تعاركنا ؟

**جورج :** اتنا لم نعرف على وجه التحديد . لقد روت لنا

المشجرة خادمة ..

**جاستون :** ليست هذه مشجرة عادية .. انى أظن أنها روتها

بكثير من التفاصيل : أين تعاركتنا ؟ فهذه  
البسطة فسيحة جدا ..

مدام رينو : لا بد أنكما تعاركتما على الحافة تماما . ووزلت  
رجله . ومن يدري ، لعلك لم تدفعه قط .

جاستون : ( مستديرا نحوها ) إذا لم تكن المسألة على  
هذا النحو الا حادثة عارضة ، لماذا لم أذهب كل  
يوم لمراقبته في غرفته وهو طريح الفراش ؟  
وأنتق معه ، لكي يقل شعوره بالظلم ، كل  
عطلاتي أيام الخميس ، بدلا من الجرى في  
الشمس ؟

جورج : انك تعرف ، كل واحد شرح المسألة على  
طريقته .. وتدخل فيها حيث الناس ..

جاستون : أى خادمة شاهدتنا ؟

مدام رينو : هل من الضروري لك أن تعرف هذا ؟ انها على

كل حال لم تعد في البيت .

جاستون : من المؤكد أن هناك ستواها لا يزالون في  
الخدمة ، ممن عاصروا تلك الفترة . سوف  
أستجوبهم .

مدام رينو : أرجو ألا تولي ثقتك ما يثرثر به الخدم في المطبخ .

سوف يروون لك أعظم الروايات ، بالتأكيد ،  
أولئك الخدم ، لو استجوبتهم . انك تدرى  
من هم هؤلاء الناس ..

**جاستون :** ( مستديرا نحو جورج ) أيها السيد ، أنا متأكد  
من أنك ستفهمنى ، أنت . انى لم أتعرف بعد  
شيئا لديكم .. والذى أنبأتمونى به عن طفولة  
أخيك يبدو لى أبعد شيء ممكن عما أعتقد  
أنه طبعى . ولكن — لعله التعب ، ولعله  
سبب آخر — لأول مرة يتتابنى نوع من  
الاضطراب وأنا أصغى لقوم يتحدثون عن  
ابنهم .

**مدام رينو :** آه ! يا صغيرى چاك ، لقد كنت واثقة ..

**جاستون :** لا ينبغي أن يحن قلبك ، وأن تسمينى قبل  
الأوان « صغيرى چاك » . اننا هنا للتحقيق ،  
كرجال الشرطة — بما يعهد فى الشرطة من  
الشدة وعدم الشعور إذا أمكن . ان هذا  
الاتصال بكائن غريب عنى تماما ، قد أكون  
مضطرا بعد لحظة لأن أقبله على أنه جزء من  
نفسى ، هذه الخطبة الغريبة التى أعقدها الى

شبح ، شيء يكفيني أن أعانيه دون أن أكون مضطرا فوق ذلك الى النضال ضدكم . سوف أقبل كل تجربة ، وأسمع كل رواية ، ولكن صوتا في نفسي يقول لي انني قبل كل شيء يجب أن أعرف الحقيقة بشأن هذه المشاجرة . الحقيقة ، مهما كانت قاسية .

مدام رينو : ( تبدأ ، مترددة ) حسنا ، هذا ما حصل : من أجل حماقة شباب ، تبادلتما الضرب .. أنت تعرف كيف يستجيب الشبان للغيظ في تلك السن ..

جاستون : ( يقفها ) لا ، الكلام لغيرك . تلك الخادمة ما زالت هنا ، أليس كذلك ، لقد كذبت الآن ؟

جورج : ( فجأة ، بعد صمت ) نعم ، ما زالت في البيت .

جاستون : اطلبها ، من فضلك ، يا سيد . لماذا تتماذى في التردد ، ما دمت تعلم يقينا أنني سوف أجدها وأستجوبها في يوم من الأيام ؟

جورج : لقد كانت حماقة بالغة ، حماقة فظيعة !

جاستون : لست هنا لكي أعلم شيئا ممتعا . ومن ناحية أخرى ، اذا كانت هذه الواقعة هي التي تستطيع

أن تعيد إلى ذاكرتي ، ليس لكم الحق في  
اخفائها عني .

جورج : ما دمت تريد ذلك ، أناديها .

( يبق الجرس ) .

مدام رينو : ولكنك ترتعش يا چاك . أرجو ألا تكون  
مرضا ؟

جاستون : أرتعش ؟

مدام رينو : لعلك تحس بشيء يتضح الآن في نفسك ؟

جاستون : لا . لا شيء سوى الليل ، أتمد الليل ظلاما .

مدام رينو : فلماذا ترتعش اذن ؟

جاستون : أمر سخيف . ولكن ، من بين آلاف الذكريات

المكثثة ، كانت ذكرى صديق هي التي أحن

إليها بأعظم الشوق . لقد أقمت كل شيء على

ذكرى هذا الصديق الخيالي . نزهاتنا التي

شغفنا بها ، والكتب التي اكتشفناها معا ، وفتاة

أحبها وأحببتها في الوقت ذاته فنزلت له عنها

وضحيته بها ، بل — وستضحكان من هذا —

انني أنقذت حياته يوما في زورق . اذن ، أن

كنت ابنكم ، أليس علىّ أن أعتاد حقيقة

ما أبعدها عن حلمي ..

( دخلت جوليت ) .

جوليت : سيدتي دقت الجرس ؟

مدام رينو : مسيو چاك يود أن يكلمك ، يا جوليت .

جوليت : أنا ؟

چورچ : نعم . يود أن يستجوبك عن حادثة « مارسيل

جرانشان » تلك المؤسسة التي شهدت وقوعها .

مدام رينو : أنك تعرفين الحقيقة ، يا بنتي . وتعرفين أيضاً

أن مسيو چاك كان عنيف الطبع ، فما كان يضر

نية إجرامية .

جاستون : ( يقاطعها مرة أخرى ) لا تقولي لها شيئاً ، من

فضلك ! أين كنت يا آنسة ، عندما وقع

الحادث ؟

جوليت : على البسطة ، مع أولئك السادة ، يا سيد چاك .

جاستون : لا تسميني بعد السيد چاك . كيف بدأت تلك

المشاجرة ؟

جوليت : ( تلقي نظرة الى آل رينو ) يعني ..

جاستون : ( يتجه اليهما ) هيل تسمجان بأن تتركاني

- بمفردى معها؟ انى أشعر بأنكما تخرجانها.
- مدام رينو :** أنا على استعداد لكل ما تريد إذا كان فى ذلك ما يعيدك الينا يا چاك .
- جاستون :** ( يرافقهما ) سوف أناديكما فى الآخر .
- ( لجوليت ، عندما أصبحا وخرهما )
- اجلسى .
- جوليت :** أيسمح سيدى ؟
- جاستون :** ( وهو يجلس قبالتها ) ولتترك الكلفة جانبا ، أرجوك . فهمى لن تستطيع الا مضايقتنا . ما عمرك ؟
- جوليت :** ثلاث وثلاثون سنة . انك تعلم هذا خير العلم ، يا سيد چاك ، إذ كان عندى خمس عشرة سنة حينما سافرت للميدان . لماذا تسألنى عن سنى ؟
- جاستون :** أولا ، لأتلى لم أكن أعرف سنك ، ثم ، أكرر لك أتى ربما لست السيد چاك .
- جوليت :** أوه ! بلى ، انما أنا أتعرفك جيدا ، يا سيد چاك .
- جاستون :** هل كنت تعرفينه معرفة جيدة ؟

**جوليت** : ( تنفجر فجأة متحجة ) آه مستحيل أن ينسى أحد  
إلى هذا الحد ! ... أفلا تتذكر شيئاً يا سيد  
چاك ؟

**جاستون** : لا شيء بالضبط .

**جوليت** : ( تصيح بين دموعها ) هل يمكن أن أسمع مثل  
هذه الأسئلة بعد الذي جرى ؟ آه ! يا لها من  
لوعة للمرأة ..

**جاستون** : ( يظل لحظة مشدوها ، ثم ، فجأة ، يفهم ) آه ! ..  
أوه ! العفو ! أستميحك للعفو . على ذلك ،  
فالسيد چاك ..

**جوليت** : نعم .

**جاستون** : أوه ! أستميحك العفو اذن .. انما كم كانت  
سناك ؟

**جوليت** : خمس عشرة سنة ، لقد كان أول رجل في  
حياتي ،

**جاستون** : ( يتسهم فجأة ، منسرحاً ) خمس عشرة سنة ،  
وهو سبع عشرة .. انها رقيقة جداً ، هينده  
القصة . انها أول شيء مما أستمع عنه يلوح لي  
جذاباً . وهل دام ذلك طويلاً ؟

جوليت : الى أن سافر :

جاستون : وأنا الذى جهدت فى البحث لكى أعرف ما وجه  
تلك التى كانت صاحبتى ! عال ، لقد كانت  
بديعة !

جوليت : ربما كانت بديعة ، ولكنها لم تكن الوحيدة ،  
معلوم !

جاستون : آه ! صحيح ؟

جوليت : أوه ! صحيح ، معلوم !

جاستون : عال ، هذا شئ أيضا لا يجعلنى أكرهه كثيرا .

جوليت : أنت ربما تجد هذا ظريفا ! ولكن ، برغم كل  
شئ ، يجب أن نعرف بأنه بالنسبة لامرأة ...

جاستون : بالتأكيد ، بالنسبة لامرأة ...

جوليت : شئ صعب ، معلوم ، بالنسبة لامرأة ، أن تحص  
بالذئب فى أليم حبا ! ...

جاستون : (مشدوها قليلا) فى أليم ... ؟ نعم ، بالتأكيد .

جوليت : لم أكن الا خادمة صغيرة مهملة ، ولكن هذا  
لم يمتنعنى من أن أشربه حتى الثمالة ، معلوم ،  
ذلك الأليم الفطيع ، ألم العشيقة المقهوره ..

- جاستون : ألم ال .. ؟ بالتأكيد .
- جوليت : ألم تقرأ أبدا رواية « المعتصبة ليلة زفافها » ؟
- جاستون : لا .
- جوليت : كان ينبغي أن تقرأها ، وسترى ، هناك موقف مشابه تقريبا . النذل الذي أغوى « برتراند » سافر هو أيضا ( ولكنه سافر الى أمريكا ، حيث طلبه عمه الثرى ) واذ ذاك تقولها له ، « برتراند » ، انها شربته حتى الثمالة ، ذلك الألم القطيع ، ألم العشيقة المقهورة .
- جاستون : ( الذى يتضح له كل شيء ) آه ! تلك كانت جملة من الرواية ؟
- جوليت : نعم ، ولكنها كانت تنطبق على تماما !
- جاستون : بالتأكيد ..
- ( نهض فجأة . يسأل متظرفا ) .
- وهل كان يجبك كثيرا ، السيد چاك ؟
- جوليت : جبا عنيفا . على كل حال ، الأمر بسيط ، كان يقول لى انه سينتحر من أجلى .
- جاستون : كيف أصبحت عشيقته ؟
- جوليت : أوه ! كان ذلك فى ثانى يوم لى بالبيت . كنت

أرتب غرفته ، فأسقطني على السرير . وكنت  
أنا أضحك كالبهائم . طبعاً ، في تلك السن ! لقد  
حدث هذا كأنما كان رغم ارادتي . ولكن ، في  
الآخر ، أقسم لى أنه سيحبنى طول حياته !

**جاستون :** ( ينظر إليها ويتسهم ) : عجيب السيد چاك ..

**جوليت :** عجيب لماذا ؟

**جاستون :** لا لشيء . على كل حال ، لو أصبحت السيد

چاك ، أعدك بأن أكلمك بكل جد بخصوص  
هذا الوضع .

**جوليت :** آوه ! أنت تعرف ، أنا لا أطلب تسوية للوضع .  
فانى الآن متزوجة ..

**جاستون :** بصرف النظر ، بصرف النظر ..  
( برهنة ) .

ولكنى أهرب من الدرس ولن أنجح في  
الامتحان . فلنعد الى تلك القصة الرهيبة التى  
بودى أن أجعلها والتى ينبغى أن أعرفها  
بحدافيرها :

**جوليت :** آوه ! نعم ، المعركة مع السيد مارسيل .

**جاستون :** نعم . هل كنت هناك ؟

جوليت : ( تتفخ ) بكل تأكيد ، كنت هناك .

جاستون : هل شهدت بداية عراكما ؟

جوليت : طبعاً .

جاستون : اذن تستطيعين أن تقولي لي من أجل أى جنون

غريب تضاربا بتلك الوحشية ؟

جوليت : ( بهدوء ) : أى جنون غريب ؟ لقد تضاربا من

أجلى .

جاستون : ( ينهض ) : من أجلك ؟

جوليت : طبعاً ، من أجلى . أيديهشك هذا ؟

جاستون : ( يردد مشدوها ) من أجلك ؟

جوليت : معلوم . أتدرى ، لقد كنت عشيقه السيد چاك

— انى أقول لك هذا بصفة شخصية ، لأنه

يجب أن تعرفه ، ولكن احفظ السر ، أليس

كذلك ؟ فأنا لا أسعى الى أن أفقد مكانى

بسبب حكاية حصلت من عشرين سنة ! نعم ،

كنت عشيقه السيد چاك ، وفى الحقيقة يجب

أن تقول ان السيد مارسيل كان يحوم حولى

قليلاً .

جاستون : وبعد ؟

**چولیت** : وبعد ، في يوم كان يحاول أن يقبلني وراء

الباب .. أما أنا فلم أترك له نقسي ، معلوم ،

لكنك تعرف كيف يصبح الولد عندما يصتم

على هذا الشيء .. وفي هذه اللحظة بالضبط ،

خرج السيد چاك من غرفته ورآنا . فوثب على

السيد مارسيل ، الذي رد عليه . وتضاربا ،

وتلجرجا على الأرض ..

**جاستون** : أين كانا ؟

**چولیت** : على بسطة الدور الأول الكبيرة ، المجاورة ،

هنا .

**جاستون** : ( يصبح فجأة كالمجنون ) : أين ؟ أين ؟ أين ؟

تعالى ، أريد أن أرى المكان بالضبط .

( جرها من معصمها حتى الردهة ) .

**چولیت** : انك تؤلنى !

**جاستون** : أين ؟ أين ؟

**چولیت** : ( تتزعزع نفسها من قبضته ، وتدللك معصمها ) :

ها هنا ! سقطا هنا ، نصفهما في الردهة ونصفهما

على البسطة . وكان السيد مارسيل تحت .

**جاستون** : ( يصبح ) لكنهما هنا كانا بعيدين عن الحافة !

كيف استطاع أن ينزلق حتى أسفل الدرجات ؟

هل تلحرجا معا وهما يتصارعان ؟

جوليت : لا ، ان السيد چاك هو الذى أفلح فى النهوض ،

وجر السيد مارسيل من رجله حتى الدرجات ..

جاستون : وبعد ذلك ؟

جوليت : بعد ذلك دفعه ، يا للأسف ! وهو يصيح به :

« خذ يا ولد يا وغد ، هذا سيعلمك أن تقبل

عشيقات غيرك » . هذا ما حصل .

( يسود صمت ) .

آه ! لقد كان رجلا ، السيد چاك !

جاستون : ( بصوت مكتوم ) وكان صديقه ؟

جوليت : معلوم ! انهما منذ سن ست سنين كانا يذهبان

الى المدرسة معا .

جاستون : منذ سن ست سنين .

جوليت : آه ! هذا فظيع ، معلوم ! ولكن ماذا تريد ؟

انما الحب أقوى من كل شىء .

جاستون : ( ينظر اليها ويتمتم ) الحب ، بالتأكيد ، الحب .

أشكرك ، يا آنسة .

جورج : ( يقرع باب الغرفة ، واذ لا يجده يأتي الى

الردهة ) سمحت لنفسى بأن أعود . فقد  
أبطأت فى الاتصال بنا ، وكانت أمى قلقة . هل  
عرفت الآن ما تريد معرفته ؟

( خرجت جوليت )

**جورج** : أوه ! انها ليست فعلة كريمة ، طبعاً .. ولكنى  
أود أن أظن ، برغم كل ما أمكن أن يقال ،  
انها لم تكن فى الواقع سوى حادثة ، بل —  
ولا تنسى أنك كنت فى السابعة عشرة — عبث  
صيانى ، عبث صيانى مشنوم .

( صمت . يعتره حرج ) .

كيف روت لك الواقعة ؟

**جاستون** : كما شهدتها ، بلا شك .

**جورج** : هل قالت لك السبب ، وهو أن تلك المعركة

كانت لتنافسكما فى النادى ؟ استقال مارسيل  
من ناديك لأسباب شخصية ، وكنتما عضوين  
فى فريقين متعارضين ، وبرغم كل شئ ، أليس  
كذلك ، رحمت فى حميتك الرياضية ..

( جاستون لا يقول شيئاً ) .

على كل حال ، هذه هى الرواية التى أردت أنا

أن أصدقها . لأنه ، من جانب آل جرائشان ،  
أذيعت قصة أخرى ، قصة رفضت على طول  
الخط أن أقبلها شخصيا . لا تحاول أن تعرفها ،  
تلك الرواية ، فما هي الا حرق ولؤوم .

جاستون : ( ينظر اليه ) هل كنت تجبه حقا ؟

جورج : لقد كان أخي الأصغر ، برغم كل شيء . بالرغم  
من كل شيء آخر . فقد حدثت أشياء أخرى  
كثيرة .. آه ! لقد كنت فظيعا .

جاستون : طالما يحق لي هذا الطلب ، فسأطلب منك أن  
تقول : « كان » هو « فظيعا » .

جورج : ( مبتسما ابتسامة بائسة لذكرياته ) نعم ..

فظيعا . أوه ! ما أكثر ما سببت لنا من هموم !  
وإذا عدت بيننا ، ينبغي أن يأتيك علم أشياء  
أخطر من تلك الحركة المتعسة ، التي تستطيع  
بشأنها أن تظل مع ذلك متمتعا باحتمال الشك .

جاستون : على أن أعلم شيئا آخر ؟

جورج : كنت طفلا — ما الخيلة ؟ — طفلا أطلق العنان

لنفسه في عالم مختل النظام . وراحت أمي ،  
بمبادئها ، تصطدم بك دون أن تحسن

التصرف ودون أن تؤدي إلا لامعانك  
في الانطواء على نفسك . وأما أنا ، فلم تكن لي  
السلطة الكافية .. فقد ارتكبت حماقة ضخمة ،  
نعم ، في أول الأمر ، كلفتنا كثيرا جدا .. كنا ،  
كما تعلم ، نحن الكبار ، في الميدان . وظن  
أمثالك من الشبان كل شيء مباحا لهم . أردت  
أن تنفذ مشروعا تجاريا . ترى هل كنت صادق  
التفكير في هذا المشروع ؟ أم أنه لم يكن  
الا ذريعة لبلوغ ما أربك ؟ أنت وحدك تستطيع  
أن تقول لنا ذلك اذا استعدت ذاكرتك تماما .  
مهما يكن من شيء ، فقد سحرت — وسحرت  
هي الكلمة الحقيقية — صديقة من أقدم  
أصدقاء العائلة .. وجعلتها تسلم مبلغا ضخما ،  
حوالي خمسمائة ألف فرنك . كنت تزعم أنك  
وسيط . وكنت قد جئت بورقة مزورة على  
رأسها اسم شركة .. وهمية بلا شك .. ورحت  
توقع ايصالات مزورة : وذات يوم ، انكشف  
كل شيء . ولكن بعد فوات الأوان ، اذ لم يتبق  
سوى بضعة ألوف . كنت قد أنفقت الباقي ،

يعلم الله في أى الأوكار وأى الحانات ، مع  
نساء وبعض الرفاق .. ودفعنا نحن المال لأصحابه  
طبعاً .

جاستون : ان الفرحة التى تأهبتم بها لاستقبال أخيكم العائد  
تدعو الى الاعجاب .

جورج : ( يطأطأ رأسه ) وأكثر مما تعتقد ، يا چاك .

جاستون : كيف ؟ هناك شىء آخر ؟

جورج : سوف نتكلم عن هذا فى مرة أخرى .

جاستون : لماذا فى مرة أخرى ؟

جورج : يستحسن . سأدعو الآن أمى . فهى لابد يقلقها  
صمتنا .

جاستون : ( يقفه ) تستطيع أن تحدثنى : فانى أكاد أقطع  
بأنى لست أخاك .

جورج : ( ينظر اليه لحظة فى صمت ، ثم بصوت مخنوق )  
انك مع ذلك تشبهه كثيرا . هذا وجهه ، ولكن  
كأنما مرت به مسحة عذاب ..

جاستون : ثمانية عشر عاما ! كذلك وجهك ، بلا شك ،  
وان لم يكن لى الشرف بأن أتذكره دون  
تجاعيد .

**جورج** : إنها ليست مجرد تجاعيد . إنها كبر . ولكن  
كبر لعله بدلا من أن يطبع الغضون ويقسى  
الملاح ، قد أشاع العذوبة والرقة . كأنما هي  
مسحة من الأزهار والطيبة تلك التي مرت  
بوجهك .

**جاستون** : نعم . هناك أسباب كثيرة — كما فهمت الآن —  
لأن لا تتيح لوجه السيد أخيك أن يتصف بظابع  
الرقة .

**جورج** : أنك تخطيء . لقد كان قاسيا ، نعم ، طائشا ،  
متقلبا .. ولكن .. أوه ! كنت أحبه بكل عيوبه .  
كان أجمل مني . ربما لم يكن أذكى — أعني  
كان أقل حظا من نوع الذكاء اللازم في المدرسة  
وفي الامتحانات — غير أنه كان أعرق احساسا ،  
وأشد تألقا بالتأكيد ..

( يقول بصوت مخنوق ) .

وأشد اغواء . وكان في الحقيقة يحبني ، هو  
أيضا ، على طريقته . بل وكان لديه ، في ختام  
الطفولة على الأقل ، لون من عاطفة العرقان

بالفضل كانت تؤثر في نفسي كثيرا . ولهذا  
كانت الصدمة قاسية جدا عندما علمت .

( يظأطىء رأسه كما لو كان هو المخطيء ) .

لقد كرهته ، نعم ، كرهته . ثم ، بسرعة كبرى ،  
نسيت كيف أحقد عليه .

**جاستون :** وفيم الحقد ؟

**جورج :** ( رفع رأسه ، ينظر إليه ) هل أنت چاك ؟

( جاستون يأتى بحركة ) .

عشا أقول لنفسى انه كان صغير السن ، وانه

كان ضعيفا فى الواقع كجميع من يظهرون

العنف .. عشا أقول لنفسى ان كل شىء سهل

لشفتين جميلتين ليلة صيف عندما يحين رحيلنا

الى الميدان . عشا أقول لنفسى انى كنت بعيدا ،

وانها أيضا كانت صغيرة ..

**جاستون :** لا أكاد أفهمك . هل أخذ منك امرأة ؟

( برهة ) .

امرأتك ؟

( جورج يومىء بالإيجاب . جاستون ،

بصوت مكتوم ) .

الدنىء ..

جورج : ( بابتسامة صغيرة حزينة ) هو ربما أنت .

جوليت : ( بعد برهة ، يسأل بصوت متهدج ) ان اسمك

جورج ؟

جورج : نعم .

جاستون : ( ينظر اليه لحظة ، ثم تغلبه حركة عاطفية عفوا )

جورج ..

مدام رينو : ( تظهر خارج الغرفة ) أنت هنا ، يا چاك ؟

جورج : ( والدموع في عينيه ، خجلا من تأثيره ) معذرة ،

انى أتر ككما .

( يخرج مسرعا من الباب الآخر )

مدام رينو : ( وهى تدخل الغرفة ) چاك ..

جاستون : ( دون أن يتحرك ) نعم .

مدام رينو : خمن من الذى حضر الآن ؟ .. آه ! يالها من

جراة !

جاستون : ( كليلا ) أنا من الأصل ليس لى ذاكرة ، اذن ..

فالتخمين ..

مدام رينو : العمة لويز ، يا عزيزى ! نعم ، العمة لويز !

جاستون : العمة لويز . أو هذه جراة ؟ ..

مدام رينو : آه ! لك أن تصدقني .. بعد الذي جرى ! اني

أرجو ألا تستقبلها ، من أجلني ، لو هي حاولت

أن تقربك بالرغم منا . لقد سلكت سلوكا ! ..

ثم على كل حال ، أنت لم تكن تحبها . أوه !

ان كان بين الأقارب من كنت تكرهه يا صغيري .

وتبغضه بغضا حقيقيا — له ما يبرره على كل

حال ، يجب أن أعترف بذلك — فهو ابن عمك

چول .

جاستون : (وما زال ثابتا لا يتحرك) اني أبغضه اذن بغضا

حقيقيا دون أن أدري ..

مدام رينو : ألا تبغض چول ؟ فانك لا تعلم ماذا فعل بك ،

هذا الولد البائس ؟ لقد وشى بك في الامتحان

لأنك كنت تخفي جدول لوغاريمات ..

صحيح ، يجب أن أحكي لك تلك الحكايات

كلها ، فأنت خليق بأن تتلقاهم بوجه بشوش .

جميع أولئك الناس ، أنت الذي لا تتذكر

شيئا ! .. وچيرار دوبوك ، الذي لا بد سيأتي

ليتودد اليك .. انه لكي يتمكن من الدخول

في « شركة فيليير » حيث كانت القرص أمامك

أكبر بسبب عمك ، أبعذك عن الوظيفة بالافتراء  
عليك لدى الإدارة . نعم ، لقد علمنا فيما بعد أنه  
كان هو . أوه ! اننى أرجو أن تغلق دونه الباب ،  
وكذلك لأشخاص غيره سأخبرك بأمرهم ممن  
غدروا بك فى دناءة .

جاستون : ما أكثر الأشياء الطوة فى ماضى انسان ! ..  
مدام رينو : بالعكس — ولو أن شكلها يثير بعض النفور  
منذ أصابها الشلل ، مسكينة ! — ينبغى أن  
تقبل « مدام بوكون » العزيزة . لقد شهدت  
ميلادك ..

جاستون : هذا لا يبدو لى حجة كافية .  
مدام رينو : ثم انها هى التى غنيت بك أيام التهايك الرئوى ،  
وكنت أنا مريضة فى الوقت ذاته . لقد أتقنت  
حياتك ، يا ولدى !

جاستون : صحيح ، هناك أيضا عاطفة العرفان بالجميل .  
لقد فاتنى أن أفكر فى هذا الأمر .  
( برهة ) .

واجبات ، وأحقاد ، وجراح .. ماذا كنت أحسبها  
اذن ، ذكريات المرء ؟  
( يتوقف ، ويفكر ) .

صحيح ، لقد نمتت الذكريات التي يؤنبنى

عليها الضمير . لدى الآن ماض كامل .

( يتسم بصورة غريبة ، وينذهب نحوها ) .

انك ترين مقدار طموحي . انما كنت أفضل

نموذجا تحليه بعض الأفراح . ونفحة من

الشغف أيضا ، لو أمكن . أليس لديك

ما تقدمينه لي ؟

مدام رينو : لست أفهمك ، يا ولدى .

جاستون : الأمر مع ذلك بسيط جدا . أود لو رويت لي

فرحة من أفراحي القديمة . فان أحقادى

وأوزارى لم تنبئنى بشيء . أعطنى فرحة مما

كان لابنك ، حتى أرى كيف يتردد رنينها في

نفسى .

مدام رينو : أوه ! ليس هذا عسيرا . الأفراح ، لقد نلت منها

الكثير ، لو تعلم .. لكم كنت مدللا !

جاستون : اذن ، اسمحى لى بفرحة واحدة ..

مدام رينو : طيب . شيء يعيظ أن يفرض الإنسان على

نفسه أن يتذكر هكذا ، دفعة واحدة ، انه

لا يدرى ماذا يختار ..

جاستون : قولى كيفما اتفق .

مدام رينو : طيب ، اسمع ، لما كنت فى الثانية عشرة من عمرك ..

جاستون : ( يقفها ) فرحة من أفراح الرجال . فما عيدها بعيد عن الشغور .

مدام رينو : ( فجأة متضايقه ) انما .. أفراحك فى طور

الرجولة سليم تكن تقول لى معظمها . ان شابا

كبيراً ، كما تعلم ! .. لقد كنت كثير الخروج ،

كجميع الشبان الكبار .. كنتم الملوك فى ذلك

العهد . كنت تذهب الى الحانات ، وسباق

الخيال .. كنت ترح مع رفاقك ، وأما معى ..

جاستون : ألم ترينى أبداً فرحاً أمامك ؟

مدام رينو : بلى طبعاً ! مثلاً ، يوم تسلمت جوائزك الأخيرة ،

أتذكر ..

جاستون : ( يقاطعها ) لا ، دعى الجوائز ! بعد ذلك . بين

الوقت الذى وضعت فيه كتب المدرسة والوقت

الذى فيه وضعوا بندقيه بيدي ، أثناء تلك

الشهور القليلة التى لا يد أنها كانت ، لست

أشك فى ذلك ، كل حياة الرجولة بالنسبة لى .

مدام رينو : انى أبحث . ولكنك فى الواقع كنت تكثر من  
الخروج .. كنت تمنع فى التشبه بمظاهر  
الرجال ..

جاستون : ولكن مع ذلك ، فى سن الثامنة عشرة ، مهما  
جد الشاب فى تمثيل حياة الرجال ، فهو لا يزال  
طفلا ! انما حدث ذات يوم أن تسرب الماء من  
صنبور الحمام ولم يستطع أحد أن يقف تدفقه ،  
وذات يوم طرأ على موقد المطبخ اختلال هائل ،  
أو صادفنا محصل ترام مضحكا .. فضحكت  
أمامك . يوم انشرح صدرى بهدية ، أو بشعاع  
من الشمس . لست أسألك فرحة طاغية ..  
بل فرحة صغيرة جدا . فانى لم أكن مريض  
الأعصاب ؟

مدام رينو : ( فجأة محرجة ) سأقول لك ، يا صغيرى چاك ..  
كنت أود أن أشرح لك هذا الموضوع فيما بعده  
وفى هدوء أوفر .. لم تكن العلاقة بينك وبينى  
طينة جدا فى ذلك العهد .. أوه ! كان ذلك  
طيشا صيانيا ! وبمرور الزمن ، أنا متأكدة  
من أنه سيبدو لك الآن أشد خطرا مما كان .

نعم ، في تلك الفترة بالذات ، بين المدرسة  
والجيش ، كنا لا يكلم بعضنا بعضا .

جاستون : آه !

مدام رينو : نعم . من أجل حماقات تافهة ، لو تعلم .

جاستون : ويحا ! كنا عنيدين . ومن الذى بدأ ؟

مدام رينو : ( بعد تردد ) أوه ! أنا ، اذا شئت .. ولكن

ذلك كان بسببك . كنت قد ركبت رأسك

بشكل غبى .

جاستون : أى عناد من جانب شاب هذا الذى دفعك الى

ألا تكلمى ابنك مدة سنة ؟

مدام رينو : انك لم تفعل قط شيئا فى سبيل فض هذا

الموقف . لا شىء !

جاستون : ولكنى عندما سافرت للميدان ، تصالحنا مع

ذلك ، فانك لم تتركينى أرحل دون أن تقبلينى ؟

مدام رينو : ( بعد صمت ، فجأة ) بلى .

( برهة ، ثم بسرعة ) .

أنت المسئول ، فى ذلك اليوم أيضا . انتظرتك فى

غرفتى . وأما أنت ، فكنت تنتظر فى غرفتك .

كنت تريد أن أخطو الخطوات الأولى ، أنا ،

أمك ! .. على حين أنك كنت أهنتني اهانة  
بالغة . وراح الناس يتوسطون ، فلم يفلح شيء  
في حملك على التنازل . لا شيء .. وكنت راحلا  
الى الميدان .

جاستون : كم كانت سنى ؟

مدام رينو : ثمانية عشرة .

جاستون : لعلني لم أكن أدرك . الى أين كنت ذاهبا . في

الثامنة عشرة ، انما الحرب مغامرة ممتعة .

ولكننا لم نكن اذ ذاك في سنة ١٩١٤ ، حين

كانت الأمهات يضعن الأزهار في البندقيات ،

كنت لا بد تدركين أنت ، الى أين كنت ذاهبا .

مدام رينو : أوه ! كنت أظن أن الحرب ستنتهي قبل أن

تغادر المعسكر أو أنني سأراك في أول عطلة

لك قبل الميدان . ثم انك كنت دائما شديد

العنف ، شديد القسوة معي .

جاستون : أما كنت تستطيعين أن تنزلي من غرفتك لتقولني

لي : « انت مجنون ، قبلني ! » .

مدام رينو : خفت من عينيك .. من زمة الكبرياء التي كانت

بلا شك ستعتري أفتك . لقد كنت خليقا بأن

تطردني ، لو تعلم ...

جاستون : في هذه الحال ، كنت تعاودين الكرة ، كنت  
تبكين على بابي ، كنت تتوسلين لي ، كنت  
تركعين لكي لا يكون هذا الشر ولكي أقبلك  
قبل أن أرحل .. آه ! أسأت بأنك لم تركعي .

مدام رينو : أم ، تفعل هذا يا چاك ! ..

جاستون : كنت في الثامنة عشرة ، وكانوا يرسلونني  
للموت . اني أشعر ببعض الخجل وأنا أقول  
لك هذا ، ولكني مهما كنت عاتيا ، ومهما  
حبست نفسي في كبريائي الطائش الغبي ، كان  
واجبكم جميعا أن تركعوا وأن تستغفروني .

مدام رينو : نستغفرك ؟ انما أنا لم أرتكب ذنبا !

جاستون : وماذا ارتكبت أنا حتى تنفغر بيننا هذه الهوة  
السحيقة ؟

مدام رينو : ( فجأة ، بلهجة الماضي ) أوه ! كنت قد  
صممت رأيك على أن تتزوج خياطة صغيرة ،  
يعلم الله أين وجدتها ، وأنت في الثامنة عشرة ،  
وكانت ترفض بلا شك أن تصبح عشيقتك ..  
ليس الزواج هوى ! فهل كان علينا أن ندعك  
تفسد حياتك ، وتدخل هذه البنت عندنا ؟

لا تقل لى انك كنت تحبها .. أو يعرف الانسان  
الحب ، فى الثامنة عشرة ، أعنى : هل هو يجب  
بشكل عميق مستديم — بحيث يتزوج ويؤسس  
عائلة — بنتا خياطة لقيها فى حفلة راقصة منذ  
ثلاثة أسابيع ؟

**جاستون :** ( بعد صمت ) أجل ، كانت حماقة .. ولكن

دفعتى كانت ستتدعى لحمل السلاح بعد  
بضعة أشهر ، كنت تعلمين ذلك . اذا كانت هذه  
هى الحماقة الوحيدة التى قدر على أن ارتكبتها ؛  
اذا كانت هذا الحب الذى لا يمكنه أن يدوم ،  
أما كان الذى يطالب به شخصا لم يعد أمامه  
من الحياة الا بضعة أشهر ، أى ما لا يكاد  
يكفى لاستنفاده ؟

**مدام رينو :** ولكننا لم نكن تفكر فى أنك ستموت ! .. ثم ،

انى لم أقل لك كل شىء . أتعلم ماذا صرخت  
فى وجهى ، بفتحك الملتوى لأقصاه ، وقد رفعت  
يدك علىّ ، علىّ أنا أمك ؟ « انى أكرهك ،  
انى أكرهك ! » . هـذا ما صرخت به فى  
وجهى .

( صمت ) .

جاستون : أنتفهم الآن لماذا بقيت في غرفتي ؟ آملة أن تصعد ،

حتى رددت باب الشارع وراءك ؟

جاستون : ( في رقة ، بعد صمت ) ومت في الثامنة عشرة ،

دون أن تكون لي فرحتي الصغيرة ، بزعم أنها

حماقة ، ودون أن تكلميني . لقد استلقيت على

ظهري ليلة كاملة ، والجرح ينزف من كفتي ،

وبت أشد وحدة من أولئك الذين كانوا ينادون

بأمهاتهم .

جاستون : ( صمت ) ثم يقول فجأة كأنه يخاطب

نفسه ) .

حقا ، اني أكرهك .

مديام رينو : ( تصيح متعورة ) جاك ، ما الذي دهاك ؟

جاستون : ( يعود الى نفسه ، ويراهما ) ماذا ؟ عفووا ..

أسألك العفو .

جاستون : ( ابتعد ، مفلق النفس ، جامدا ) .

جاستون : لست جاك رينو ؛ لست أتعرف شيئا هنا مما

كان له . ذات لحظة ، نعم ، وأنا أصغى الى

كلامك ، خلطت بينه وبينى . اني أسألك

العفو . ولكن ، لعلك ترين أن ماضيا بأكمله هـ

بالنسبة لرجل بلا ذاكرة ، انما هو عبء باهظ  
أثقل مما يطيق ظهره أن يحمله دفعة واحدة .  
لو شئت أن تؤدي لي خدمة ، لا خدمة فحسب  
بل فضلا ، أرجو أن تسمح لي بالعودة الى  
الملجأ . لقد كنت أغرس الخس ، والمع  
الأرضيات . وكانت الأيام تمضي .. ولكنها حتى  
بعد اقضاء ثمانى عشرة سنة — وذلك بالضبط  
نصف آخر من حياتي — لم تتمكن وهى تنضاف  
يوما الى يوم ، من أن تصنع هذا الشيء الفتاك  
الذى تسمونه الماضى .

مدام رينو : انما ، جاك ..

جاستون : ثم لا تسميني بعد الآن جاك . لقد فعلت أشياء  
كثيرة ، جاك هذا جاستون أحسن ؛ انه وان  
لم يكن شخصا موجودا ، فأنا أعرف من هو .  
ولكن جاك هذا الذى أحاطت باسمه جثث كل  
الطيور ، جاك هذا الذى احتال وآلم  
ورحل وحده الى الحرب دون أن يرافقه الى  
قطاره مودع ، جاك هذا الذى لم يستطع حتى  
أنه يخيفنى .

مدام رينو : ولكن الأثر ، يا ولدى ..

جاستون : اذهبي عنى ! لست ولدك .

مدام رينو : أوه ! انك تخاطبني كما فى الماضى !

جاستون : أنا لئس لى ماض ، انى أخاطبك كما أخاطبك

اليوم . اذهبي عنى !

مدام رينو : ( تتصب ، كما كانت تفعل فى الماضى ، هى

أيضا ) طيب يا جاك ! لكن بعد أن يثبت لك

الآخرون أتنى أمك ، سوف يجب عليك أن تأتى

لتسألنى العفو .

( تخرج دون أن ترى قائلتين التى أصغت

الى العبارات الأخيرة من المر . )

قالتين : ( تتقدم بعد خروجها ) - تقول انه لم يجب أبدا .

ماذا تعلم عن ذلك ، أنت الذى لا تعلم شيئا ؟

جاستون : ( يستعرضها مندهشا ) - أنت أيضا ، اذهبي

عنى !

قالتين : لماذا تحدثنى هكذا ؟ ماذا بك ؟

جاستون : اذهبي عنى ! أنا لست جاك رينو .

قالتين : انك تصرخ بهذا ، كما لو كنت خائفا من أن

تكون اياه .

**جاستون :** هذا صحيح الى حد ما .  
**قالتين :** اذا كان خوفا ، فهذا محقول . ان شبح الفتى

جاءك شبح يرهبه من يهيم بأن يتقمصه ، ولكن  
لماذا البغض ، وايغاضى أنا ؟

**جاستون :** لا أحب أن تأتي لتبتسمى لى كما لم تكفى عن  
الابتسام لى منذ حلت هنا . لقد كنت عشيقته .

**قالتين :** من اجترأ على أن يقول هذا ؟

**جاستون :** زوجك .

( صمت ) .

**قالتين :** وبعد ، اذا كنت عشيقى ، واذا كنت وجدتك  
وأريد أن أستعيدك .. هل أتت من السخف  
بحيث تجد فى ذلك ما يسوء ؟

**جاستون :** انك تكلمين شخصا يكاد يكون فلاحا من  
فلاحى الدانوب . ويا له من دانوب ، أسود  
المياه ، ليس لضافه اسم . اننى رجل متقدم  
فى السن ، ولكنى أصل الى الحياة جديد  
الصفحة . فقد لا يخلو من متعة فى الواقع أن  
يأخذ الانسان امرأة أخيه ، أخيه الذى كان  
يحبه ، أخيه الذى أحسن إليه ؟

**قالتين** : ( برقة ) عندما تعارقتا ونحن تقضى العظلة في « دينار » كنت ألعب التنس وأسبح معك أكثر مما كنت أفعل مع أخيك .. وتزهت على الصخور معك أكثر مما تزهت معه . ومعك أنت ، أنت وحدك ، تبادلتي القبلات . وأتيت لدى أمك ، بعد ذلك ، للاشتراك في بعض حفلات الرفاق ، فبدأ أخوك يحبني ؛ ولكنك أنت الذي كنت آتني لكي أراه .

**جاستون** : ولكنه هو مع ذلك الذي اقترنت به ؟

**قالتين** : كنت طفلا . وكنت يتيمة ، قاصرة ، مفلسة ، أعيش مع خالة محسنة ، جعلتني أدفع غاليا لثمن من رفضت من خطباء تقدموا لطلب يدي . فهل كان علي أن أبيع نفسي لآخر أم له هو الذي كان يقربني اليك ؟

**جاستون** : هناك باب في المجالات النسائية يجب فيه المحرز على هذا النوع من الأسئلة .

**قالتين** : لقد أصبحت عشيقتك بعد عودتنا من رحلة شهر العسل .

**جاستون** : آه ! اتنا على ذلك انتظرنا قليلا .

**قالتين** : قليلا ؟ شهرين ، شهرين فطيعين .. ثم كانت لنا  
ثلاث سنين ، لنا وحدنا ، لأن الحرب قامت  
فورا ورجل جورج يوم ٤ أغسطس .. وبعد  
هذه الأعوام السبعة عشر يا جاك ..  
( وضعت يدها على ذراعه فتراجع ) .

**جاستون** : أنا لست جاك رينو .

**قالتين** : ولو لم تكن .. دعني أتأمل طيف الرجل الوحيد  
الذي أحببته ..

( تبسم ابتسامة صغيرة ) .

أوه ! أنك تجعد فمك ..

( تحديق في وجهه ، فيتخرج ) .

ألا يوجد في شيء يناسب شيئا مما في مخزن  
بضائعك الترفيحية ، ابتسامة ، نبرة ؟

**جاستون** : لا شيء ..

**قالتين** : لا تكن جافا الى هذا الحد ، مهما يكن جحيما

ذلك الدانوب الذي جئت منه ! انه شيء خطير ،

أتدري ، بالنسبة لامرأة قد أحبت ، أن تجد

ذات يوم ، بعد غياب ليس له آخر ، شخصا

ان لم يكن هو عشيقها ، فهو على الأقل ،

بتصوير أشد قسما ت فمه خفاء ، طيفه الدقيق  
الشبه .

جاستون : لعل طيف ملؤه الدقة ولكنى لست جاك  
رينو .

قالتين : انظر الى مليا .

جاستون : اتى أنظر اليك مليا . افك بديعة ، ولكنى  
لست جاك رينو !

قالتين : انى لا شىء بالنسبة لك ، هل أنت متأكد من  
ذلك ؟

جاستون : لا شىء .

قالتين : اذن ، لن تستعيد ذاكرتك أبدا .

جاستون : يبلغ بى الحال أن أتمنى ذلك .

( برهة ، غير أن القلق يساوره ) .

لماذا لن أستعيد ذاكرتى أبدا ؟

قالتين : أنت ، لا تتذكر من رأيتهم منذ سنتين .

جاستون : سنتين ؟

قالتين : متعهدة الكساء ، متعهدة حلت يوما محل المتعهدة

الأصلية ..

جاستون : متعهدة ثياب محل المتعهدة الأصلية ؟

( صمت . وفجأة يسأل ) .

من أخبرك بتلك القصة ؟

قالتين : لم يخبرني أحد . كنت — بموافقة حمايتي على

كل حال — قد استعرت هذه الشخصية لكي

يباح لى أن أقربك . انظر الى مليا ه أيها

الرجل الذى فقد الذاكرة ..

جاستون : ( يجذبها بالرغم منه « مضطربا ) كنت أفت

المتعهدة التى لم تمكث إلا يوما ؟

قالتين : نعم ، كنت أنا .

جاستون : ولكنك لم تقولى لى شيئا فى ذلك اليوم ؟

قالتين : ما كنت أريد أن أقول لك شيئا قبل وصالنا ..

كنت آمل — أترى كم أومن بالحب ، بحبك

أنت ؟ — أنك اذ تنالنى تسترد ذاكرتك .

جاستون : ولكن بعده ؟

قالتين : بعده ، عندما هممت بأن أقول لك « تذكر ،

فوجئنا .

جاستون : ( يتسهم لهذه الذكرى ) آه ! أمين المخازن !

قالتين : أمين المخازن ، نعم .

جاستون : أرجو ألا تكوني قد أعلنت على رؤوس الأشهاد أنك تعرفتني ؟

قالتين : أعلنت ذلك ، ولكننا كنا خمسين عائلة تعلقه .

جاستون : ( تعتريه ضحكة عصبية ، فجأة ) ألا ان هذا

صحيح — يا لى من غبى ! — كل الناس

تعرفنى ! هذا لا يثبت بشيء أننى جاك رينو .

قالتين : ها أنت ذا تذكرت ، مع ذلك ، متعمدة ثيابك

وصرة ملاءاتها الضخمة .

جاستون : أجل ، بالتأكيد ، تذكرتها . انى فيما عدا مرضى

بفقد الذاكرة ، عندي ذاكرة قوية .

قالتين : هل تود أن تأخذها مرة أخرى بين ذراعيك ،

متعمدة ثيابك ؟

جاستون : ( يذفعها عنه ) انتظري حتى نعرف هل أنا جاك

رينو . . .

قالتين : وان كنت أنت جاك رينو ؟

جاستون : ان كنت أنا جاك رينو ، لن آخذها مرة أخرى

بين ذراعى ، مهما كان الثمن . فليست أريد أن

أكون عشيق زوجة أخى .

قالتين : ولكن سبق بالفعل أن كنت كذلك ! ..

**جاستون :** كان هذا من عهد بعيد جدا ، أصبحت بعده شقيا جدا ، لقد اغتسلت من شبابي .

**قالتين :** ( تطلق ضحكة انتصار صغيرة ) ها أنت ذا قد نسيت متعهدة ثيابك ! .. ان كنت أنت جاك رينو ، فمن سنتين فقط كنت عشيق زوجة أخيك . أنت ، أنت بنفسك ، لا شابا صغيرا عفى عليه الزمان .

**جاستون :** لست جاك رينو .

**قالتين :** اسمع يا جاك ، عليك رغم ذلك أن تتخلى عن البساطة العجيبة التي يتمتع بها فاقد الذاكرة . اسمع يا جاك ، عليك رغم ذلك أن تقبل نفسك . ان حياتنا كلها وما بها من مبادئنا الأخلاقية الكريمة وحررتنا العزيزة ، انما قوامها في آخر الأمر أن تقبل أنفسنا كما نحن .. تلك الأعوام السبعة عشر التي قضيتها في الملجأ واحتفظت خلالها بنفسك ظاهرة نقية ، انها بالضبط مدة شبابي ، طور شبابك الثاني الذي يبلغ اليوم نهايته . وعليك الآن أن تصبح رجلا من جديد ، بكل ما تقتضيه الرجولة من مهمات ، ومن

طمس معالمه ، ومن مسرات أيضا . تقبل نفسك  
وتقبلنى ، يا جاك .

**جاستون** : ان اضطرت الى ذلك بقيام دليل ما ، لن يكون  
لى بد من أن أقبّل نفسى ؛ ولكنى لن أقبلك .

**قالتين** : ولكن ما دام على الرغم منك قد حدث هذا  
بالفعل ، من سنتين .

**جاستون** : لن آخذ امرأة أخى .

**قالتين** : متى ستترك عباراتك الضخمة ؟ سوف ترى ،

انك الآن اذ تصبح رجلا ، لن تكون مشكلة

من مشاكلك الجديدة بسيطة بحيث تستطيع

ايجازها فى صيغة واحدة . لقد أخذتى منه ،

نعم . ولكنه ، أولا ، كان قد أخذنى منك ،

بكل بساطة لأنه كان رجلا ، مطلق التصرف ،

قبلك .

**جاستون** : ثم ، ان الأمر ليس مقصودا عليك .. اننى لست

حريصا على أن أكون قد نهيت سيدات عجائز ،

وهتكت عرض خادمت .

**قالتين** : أى خادمت ؟

**جاستون** : واقعة أخرى .. اننى لست حريصا كذلك على

أن أكون قد رفعت يدي على أمي هـ أو أي  
سفاهة من سفاهات شيبهي المخيف .

قالتين : ما أشد تصايحك ! .. ولكنك فعلت هذا  
أيضا ، على وجه التقريب ، منذ لحظات ..

جاستون : اتى قلت لسيدة عجوز قاسية القلب انتى  
أكرهها ، ولكن هذه السيدة العجوز لم تكن  
أمى .

قالتين : بلى ، جاك ! ولهذا السبب قلت لها ذلك بكل  
ما أوتيت من عنف . ها أنت ذا ترى أنه كان  
كافيا لك — بالعكس — أن تخالط ساعة  
شخصيات ماضيك حتى تستأنف معهم عن غير  
وعى سيرتك القديمة . اسمع يا جاك هـ أنا  
سأصعد الى غرفتى ، لأن غضبك سيثور الآن  
جدا . وبعد عشر دقائق ستنادينى ، لأن نوبات  
غضبك فظيعة ، ولكنها لا تدوم أبدا أكثر من  
عشر دقائق .

جاستون : ومن أدراك ؟ انما أنت تغيظينى فى آخر الأمر .  
يبدو عليك أنك تريدان أن توحى الى بأنك  
تعرفيننى خيرا مما أعرف نفسى .

قالتين : بل وبكل تأكيد ! .. اسمع ، يا جاك ، اسمع ..  
هناك دليل قاطع لم أستطع قط أن أقوله  
للآخرين ..

جاستون : لست أصدقك !

قالتين : ( تبسم ) انتظر ، فاني لم أقله بعد .  
جاستون : ( يصيح ) لا أريد أن أصدقك ، لا أريد أن  
أصدق أحدا ! لا أريد أن يكلمني أحد عن  
ماضي منذ الآن .

الدوقة : ( تدخل كالزوبعة ، يتبعها الأستاذ هوسيار .

تتوارى قالتين في الحميم ) جاستون ،  
جاستون ، هذا شيء فظيح ! وصل منذ لحظة  
جماعة من الناس ، غاضبين ، مرعدين ، انهم  
احدى أسرك ! فاضطرت الى أن أستقبلهم .  
لقد غمروني بالشتائم . انى أدرك الآن أنتى  
كنت مجنونة حينما استهترت بالأمر ولم أتبع  
ترتيب ورود الأسماء كما أعلننا فى الصحف ..  
هؤلاء الناس يظنون أننا نجرمهم حقوقهم .  
سيجعلونها فضيحة ، ويتهمونا بتهم لا يعلمها  
الا الله !

هوسپار : أنا على يقين ، يا سيدتى ، من أن أحدا  
لن يجرؤ على الاشتباه فيك .

الدوقة : أولا تفهم اذن أن هذه المائتين والخمسين ألف  
فرنك تعنى أبصارهم ! انهم يتكلمون عن  
المحسوبة ، والمجابهة . وبين هذا وبين القول  
بأن صغرى ألبير سيقبض المبلغ الضخم من  
العائلة التى ينسب اليها جاستون ، لا توجد  
الا خطوة !

رئيس الخدم : ( يدخل ) سيدتى . انى أسأل جناب الدوقة  
الغفور . فهاهم أشخاص آخرون يطالبون بمخاطبة  
الأستاذ هوسپار أو جناب الدوقة .

الدوقة : ما اسمهم ؟  
رئيس الخدم : أعطونى هذه البطاقة التى لم أشأ أن أقدمها  
مباشرة لجناب الدوقة ، نظرا لأنها بطاقة تجارية .  
( يقرأ ، بوقار كبير ) .

« زبد وبيض وجبن  
محل بوجران » .

الدوقة : ( باحثة فى مفكرتها ) بوجران ؟ قلت بوجران ؟  
انها بائعة اللبن !

**الوصيف :** ( يقرع الباب ويدخل ) أسأل سيدتى العفو ؛  
ولكن هناك سيد ، أو على الأصح رجل ، يطلب  
سيدتى الدوقة . ونظرا لهيئته ، يجب أن أقول  
لسيدتى اننى لم أجرؤ على ادخاله .

**الدوقة :** ( عاكفة على مفكرتها ) ما اسمه ؟ « لوجروياتر »  
أم « مادينسال » ؟

**الوصيف :** « لوجروياتر » يا سيدتى الدوقة .

**الدوقة :** « لوجروياتر » ، إنه وقاد المصايح ! أدخله  
بالتعظيم والتكريم ! لقد جاءوا جميعا فى نفس  
القطار . انى أراهن على أن آل « مادينسال »  
سيستبعونهم . لقد طلبت « يونتوبرون » فى  
التليفون . وسأذهب لأحاول أن أصبرهم .

( تخرج مسرعة ، يتبعها الأستاذ هوسبار )

**جاستون :** ( يتمم ، مرهقا ) لديكم جميعا أدلة ، وصور  
شمسية مشابهة ، وذكريات دقيقة كتفاصيل  
الجرائم .. وأسمعكم جميعا فأحس بكائن  
مختلط الجنس يقوم ورائى شيئا فشيئا ، به  
بعض ما بكل ولد من أولادكم وليس به شيء  
منى ، لأن أولادكم ليس بهم شيء منى .  
( يردد )

أنا . أنا . انى موجود ، أنا ، برغم حكاياتكم  
كلها .. لقد تحدثت منذ لحظة عن البساطة  
العجيبة التي أنتمع بها في حياة المريض بفقدان  
الذاكرة .. انك تعيشين . حاولي أن تجمعي كل  
الفضائل ، وكل الرذائل ، وأن تعلقها على  
ظهرك .

قالتين : (وقد عادت عند خروج الدوقة ) نصيبك منها  
سيصبح أهون بكثير لو شئت أن تصغي الى  
دقيقة واحدة يا جاك . انى أقدم لك تركة مثقلة  
الى حد ما ، بلا شك ، ولكنها ستبدو لك أخف  
لأنها ستزيح عنك كل ما عداها . هل تود أن  
تستمع لى ؟

جاستون : انى أستمع لك ..

قالتين : انتى لم أرك أبدا عاريا ، أليس كذلك ؟ حسنا ،  
انما بجسمك أثر جرح ، أثر جرح صغير جدا  
لم يفتن اليه أحد من الأطباء الذين فحصوك  
— انى متأكدة من ذلك — على مسافة  
سنتيمترين تحت عظمة الكتف اليسرى . انها  
ضربة بدبوس قبة — ولعلك تتخيل كيف كانت

الأزباء سنة ١٩١٥ أصبتك بها ذات يوم ظننت  
فيه أنك قد خنتنى .

( تخرج . يمكث مشدوها لحظة ثم يأخذ  
بيطاء في خلع سترته ) .



## اللوحه الرابعه

السائق والوصيف وقد تسلفا كرسيًا في ممر صغير مظلم  
ينظران من كوة .

**الوصيف** : ايه ! يا خبر ! انه يتعري ..

**السائق** : ( يدفعه ليحتل مكانه ) لا يا شيخ ؟ لا بد أنه  
مجنون لآخر درجة ، هذا الولد ! ماذا يفعل ؟  
يبحث عن برغوث ؟ انتظره ، انتظره . هوذا يركب  
على كرسي ليرى نفسه في مرآة المدفأة ..

**الوصيف** : أنت تمزح .. يركب على كرسي ؟

**السائق** : كما أقول لك .

**الوصيف** : ( محتلاً مكانه ) أرني هذا .. آه ! يا خبر ! وكل

هذا لكي يرى ظهره . انى أقول لك انه مجنون .

طيب . هوذا ينزل . لقد رأى ما كان يريد أن

يراه . انه يعيد كرسيه . ويجلس عليه . آه !

يا خبر ! .. مصيبة صحيح !

**السائق** : ماذا يفعل ؟

**الوصيف** : ( يلتفت ، مبهوتا ) انه يبكي ..

تسقط الستارة



## اللوحة الخامسة

غرفة چاك . خشب النوافذ مغلق ، والظلمة الضاربة الى الحمرة يخططها النور . انه الصباح . جاستون مضطجع في السرير ، ناعس . رئيس الخدم والوصيف منهما كان في احضار طيور محنطة التي الغرفة ، ينظمانها حول السرير . الدوقة ومدام رينو تديران العمليات من الممر . كل شيء يتم بالتهامس والسر على أطراف الأقدام .

رئيس الخدم : هل نضعها كذلك حول السرير ، يا جناب الدوقة ؟

الدوقة : نعم ، نعم ، حول السرير . بحيث يراها كلها مرة واحدة بمجرد أن يفتح عينيه .

مدام رينو : آه ! ليت منظر هذه الحيوانات الصغيرة يستطيع أن يرده لنفسه !

الدوقة : هذا يمكن أن يؤثر فيه كثيرا .

مدام رينو : كم كان يهوى أن يطاردها ! كان يتسلق الأشجار الى ارتفاعات شاهقة لكي يضع الصمغ على الأغصان .

**الدوقة :** ( لرئيس الخدم ) ضع أحدها على الوسادة ،  
بالقرب منه جدا . على الوسادة ، نعم ، نعم ،  
على الوسادة .

**رئيس الخدم :** ألا تخشى سيدتى الدوقة أن يصاب بالذعر  
عندما يرى وهو يستيقظ هذا الحيوان الصغير  
بجوار وجهه ؟

**الدوقة :** الذعر عنصر ممتاز في حالته يا صاحبي . ممتاز .  
( تعود الى مدام رينو ) .

آه ! انى لا أخفى عنك أن القلق ينهشنى  
يا سيدتى ! لقد أمكنتنى أن أهديء خواطر  
أولئك الناس ، مساء أمس ، بأن قلت لهم ان  
هوسپار وصغيرى ألبير سيكونان هنا فى الصباح  
الباكر ؛ ولكن من يدرى ان كنا سنفلح فى  
التخلص منهم بلا خسائر ؟ ..

**الوصيف :** ( يدخل ) وصلت الأسر المرشحة للسيد جاستون  
يا سيدتى الدوقة .

**الدوقة :** أترين ! لقد قلت لهم الساعة التاسعة ، وها هم  
هنا فى التاسعة الا خمس دقائق . انهم ناس  
لن يستطيع شىء أن يحملهم على التنازل .

- ميام رينو : الى أين أدخلتهم ، يا فكتور ؟
- الوصيف : الى الصالون الكبير ، يا سيدتى .
- الدوقة : بعددهم الذى جاءوا به أمس ؟ يا لها من فكرة  
فلاخين أن يحضر القوم جماعة لكى يكون  
دفاعهم أشد .
- الوصيف : انهم أكثر ، يا سيدتى الدوقة .
- الدوقة : أكثر ؟ كيف هذا ؟
- الوصيف : نعم ، يا سيدتى الدوقة ، زاد العدد ثلاثة .  
فقد انضم اليهم سيد حسن المظهر ،  
يصحب صبيا صغيرا ومريته ..
- الدوقة : مربية ؟ أى نوع من المربيات ؟
- الوصيف : انجليزية ، يا جناب الدوقة .
- الدوقة : آه ! انهم آل ماديسال ! .. ناس أعتقد انهم  
لطفاء . انه فرع الأسرة الانجليزية الذى يطالب  
بجاستون .. شىء مؤثر أن يجيئوا هكذا من  
بعيد للبحث عن أهلهم ، ألا ترين ذلك ؟ اسأل  
هؤلاء الأشخاص أن يصيغروا بضع دقائق  
يا صاحبنى .

**مدام رينو :** ولكن هؤلاء الناس جميعا لن يستردوه قبل

أن يتكلم ، أليس كذلك ، يا سيدتى ؟

**الدوقة :** لا تخافى . الامتحان بدأ بكم ، ولا بد ، برضاهم

أو بغير رضاهم ، أن تتمه بالطريقة القانونية .

لقد وعدنى صغيرى ألبير أن يكون حازما جدا

فيما يتعلق بهذه النقطة . ولكننا من ناحية

أخرى مضطرون الى معاملتهم بكثير من اللباقة

لكى نتجنب أدنى فضيحة .

**مدام رينو :** تلك فضيحة يخيل الى أنك تبالغين فى تقدير

خطرها ، يا سيدتى .

**الدوقة :** أفيقيا يا سيدتى ! ان الصحافة اليسارية

تتربص لصغيرى ألبير ، أنا أعرف ذلك : عندى

جواسيس . وسيهجم أولئك الناس على هذه

الفضيحة كما تهجم الكلاب الضارية على

جيفة . وهذا شئ — مهما كانت رغبتى فى أن

أرى جاستون يدخل أسرة لطيفة — لا أستطيع

أن أسمح به . وكما أنك أم ، فأنا عمة — قبل

كل شئ .

( تضغط على ذراعها ) .

ولكن صدقيني ، ان قلبي قد انكسر مثلك من  
جراه كل ما ينطوي عليه هذا الامتحان من آلام  
وعذاب .

( يمر الوصيف بالقرب منها ومعه سناجيب  
محنطة . تتبعه بعينيها ) .

آلا ما أجل جلد السنجاب ! كيف لم تخطر  
لأحد فكرة صنع المعاطف منه ؟

مدام رينو : ( مشدوهة ) لست أدري .

الوصيف : لا بد لأنه أصغر من اللازم .

رئيس الخدم : ( الذي يراقب الباب ) اتبهوا ، لقد تحرك

سيدي !

الدوقة : يجب ألا نظهر على أى حال :

( لرئيس الخدم ) .

افتح خشب النوافذ .

( النور يفمر الغرفة . يفتح جاستون

عينيته ، ويرى شيئاً ما بجانب وجهه ،

فيتراجع ، وينتصب جالسا ) .

جاستون : ما هذا ؟

( يرى نفسه وسط بنات عرس ، وظريبي ،

وسناجيب محنطة ، فيحملك ويصيح . )

ما شأن هذه الحيوانات كلها ؟ ماذا تريده مني ؟

رئيس الخدم : ( يتقدم ) انها محنطة ، يا سيدي . انها الحيوانات الصغيرة التي كان سيدي يلهو بقتلها .  
أولا يتعرفها سيدي ؟

جاستون : ( يصيح بصوت أجش ) أفا لم أقتل حيوانات أبدا !

( ينهض ، فيهرع اليه الوصيف حاملا دواءه المنزلي . ويدلفان الى الحمام . ولكن سرعان ما يخرج جاستون ويعود الى الحيوانات ) .

كيف كان يأتي بها ؟

رئيس الخدم : ليتذكر سيدي الفخاخ المصنوعة من الصلب « تلك التي كان يتأني في اختيارها من الكتاب المصور الذي يعرض منتجات « مصنع أسلحة وعجلات سانت اتين » .. ولبعضها كان سيدي يفضل استخدام الصمغ .

جاستون : هل كان يجدها وهي ما زالت حية ؟

رئيس الخدم : بوجه عام ، لم تكن ميتة يا سيدي . كان سيدي ينجز حياتها بسكين الصيد الخاصة . سيدي كان بارعا جدا في ذلك .

جاستون : ( بعد صمت ) ماذا يستطيع الانسان أن يفعل

من أجل حيوانات ميتة ؟

( تصدر عنه حركة يمنعها الخزي من أن

تكون مداعبة لها ، ويشرد ذهنه لحظة ) .

ما معنى مداعبة هذه الجلود المشدودة المجففة ؟

سأذهب لألقى ثمر البندق وقطع الخبز لسناجيب

غيرها ، كل يوم . سأحرّم ، حيثما كانت الأرض

ملكى ، أن يتعرض امرؤ لبنات عرس بأخف

أذى .. ولكن ما سيلى الى تعزية هذه عن الليل

الطويل الذى سرى بها خلاله الألم والخوف

دون أن تفهم ، وقد أمسك برجلها هذا الفك

الجامد ؟

رئيس الخدم : أوه ! لا يجب أن يتألم سيدى الى هذا الحد .

ليس أمر الحيوانات الصغيرة بالأمر الخطير ؛

ثم ، على كل حال ، انه شيء قد انقضى الآن .

جاستون : ( يردد ) انه شيء قد انقضى الآن . حتى لو كانت

لى القدرة على أن أجعل جنس الحيوانات

الصغيرة فى الغابات سعيدا الى الأبد .. فكما

قلت : انه شيء قد انقضى .

( ينصرف نحو الحمام قائلا : )

لماذا لا ألبس الرداء المنزلي الذي لبسته أمس ؟

رئيس الخدم : هذا أيضا من ملابس سيدي . أوصتني سيدي  
أن أجعل سيدي يجربها كلها ، لغسل سيدي  
أن يتعرف واحدا منها .

جاستون : ماذا في جيوب هذا الرداء ؟ أهي أيضا أشياء  
تذكارية ، مثل الأمس ؟

رئيس الخدم : ( وهو يتبعه ) لا يا سيدي . انها في هذه المرة  
كرات قتالين .

( أعيد اغلاق باب الحمام . تخرج الدوقة  
ومدام رينو من مخبئهما ) .

رئيس الخدم : ( تصدر عنه حركة قبل أن يخرج ) سيدي  
استطاعت أن تسمع . لست أظن أن سيدي  
تعرف شيئا .

مدام رينو : ( ساخطة ) كأنه يتعمد هذا حقا .

الدوقة : لو كان هذا ، صدقيني ، لكلمته بلهجة شديدة  
جدا ، ولكنني أخشى لسوء الحظ أن يكون  
الأمر أخطر من هذا .

جورج : ( داخلا ) ترى هل استيقظ ؟

الدوقة : نعم ، ولكن مؤامرتنا الصغيرة لم تنتج شيئا .

مدام رينو : لاحت عليه دهشة أليمة من رؤية جثث تلك الحيوانات ، هذا كل ما هناك .

جورج : هل تسمحان بأن تتركاني هنا لحظة ، فبودى أن أحاول الحديث معه .

مدام رينو : ليتك توفق يا جورج ! أما أنا ، فقد بدأت أفقد الأمل .

جورج : لا يجب يا أماه ، المسألة بسيطة ، لا يجب . بل يجب التمسك بالأمل حتى النهاية . الأمل ولو عارضه الواقع .

مدام رينو : ( فى شىء من الحق ) ان سلوكه متعب حقا . أتريد الصراحة ؟ يبدو لى أنه يعاندنى كما كان يفعل فى الماضى ..

جورج : ولكن ما دام لم يتعرفك فحسب ..

مدام رينو : أوه ! كم كان شرس الخلق ! مريضا بالذاكرة أو غير مريض ، ما بالك تعفيه من ذلك ؟

الدوقة : ( وهى تنصرف معها ) أعتقد أنك تبالغين فى الشعور بعدائه لك ، يا سيدتى . ليس لى على أى حال أن أعطيك نصيحة ، ولكنى أريد أن أقول لك انى أجد طريقتك فى التصرف معه طريقة

باردة الى حد ما أكثر مما يجب . انك أم ،  
يا للشيطان ! كوني عاطفية . ارتمي عند قدميه ،  
اصرخي .

مدام رينو : أن أرى جاك يستعيد مكانه هنا ، هذا أعز  
مرادى ، يا سيدتي ؛ ولكنى لن أستطيع حقا أن  
أذهب الى ذلك المدى . وخاصة بعد الذى  
جرى .

الدوقة : خسارة . أنا متأكدة من أن هذا كان خليقا بأن  
يهزه بشدة . أما أنا ، فلو حاولوا أن يأخذوا  
منى صغيرى أليير ، انى أحس بأننى سأصبح  
اذ ذاك مخيفة كالوحش الضارى . هل رويت  
لك أننى ، عندما رسب فى البكالوريا ، تعلقت  
بلحية عميد الكلية ؟

( خرجنا . طرقت جورج فى هذه الأثناء باب  
الغرفة ، ثم دخل ، فى حياء ) .

جورج : هل أستطيع أن أكلّمك ، يا جاك ؟  
صوت جاستون : ( من الحمام ) من هذا الذى جاء أيضا ؟ لقد  
طلبت ألا يأتى أحد . أظلا أستطيع حتى أن  
أستحم دون أن تلاحقونى بالأسئلة ، دون أن  
تقدفونى بالذكريات فى وجهى ؟

**الوصيف :** ( وهو يوارب الباب ) سيدى فى الحمام ،  
يا سيدى .

( لجاستون الذى لا تراه ) .

انه سيدى ، يا سيدى .

**صوت جاستون :** ( وما زال متجهما ، ولكنه أرق ) آه ! أهو  
أنت ؟

**جورج :** ( للوصيف ) اتركنا لحظة ، يا فيكتور .

( يخرج . يقترب جورج من الباب ) .

أسألك العفو يا جاك .. اننى أدرك فعلا أننا  
نزعجك بتوالى حكاياتنا عليك .. ولكن الذى  
أريد أن أقوله لك شىء مهم مع ذلك .. اذا  
لم يكن حديثى يضايقك فوق ما تطيقه فانى  
أود أن تسمح لى ..

**صوت جاستون :** ( من الحمام ) أى قذارة أخرى وجدتها فى ماضى  
أخيك لكى تلصقها بكنتفى ؟

**جورج :** انها ليست قذارة ، يا جاك ، بالعكس ، انها

أفكار ، أفكار أود أن أفضى بها اليك ، اذا

سمحت .

( يتردد هنيهة ثم يبدأ ) .

أنت تتذكر أن المرء ، بذريعة أنه رجل فاضل ،  
وأنه كان كذلك دائما ، وأنه لم يفعل أبدا شرا  
( وهو شيء يسير جدا في الواقع لبعض الناس ) ،  
يعتقد أن كل شيء مباح له .. يخاطب سواه  
من علياء طمأنينته .. ويوجه اللوم ، ويتشاكى ..  
( يسأل فجأة ) .

انك لست فأقما علي . بسبب أمس ؟

( يصدر الجواب في تجهم كالجواب  
السابق ، ومتأخرا هنيهة كأنه يصدر على  
مضض ) .

صوت جاستون : بسبب ماذا ؟

جورج : طبعاً بسبب كل الذي رويته لك وبالغت فيه ،  
وأنا أعرض نفسي في موقف الفريسة . بسبب  
هذا اللون من ابتزاز عطفك تحت تأثير حكايتي  
التعسة ..

( نسمع ضجة في الحمام . وينهض جورج  
منعوراً ) .

انتظره انتظره ، لا تخرج حالا من الحمام ، دعني  
أمم ، اني أفضل هذا . اذا رأيتك أمامي ،  
سأستأنف الظهور بمظهر الأخ ، ولن أجدد

ما يخرجني من ذلك .. أتدري ، يا جاك ، لقد  
 أمعنت التفكير هذه الليلة ، ان الذي جرى  
 كان شيئا فظيما ، بكل تأكيد ، ولكنك كنت  
 طفلا ، وكانت هي أيضا طفلة ، أليس كذلك ؟  
 ثم ، في « دينار » ، قبل زواجنا ، انما كانت  
 تتوق الى التنزه معك ، ولعلكما كنتما تتبادلان  
 الحب من قبل ، وأتما كالصبية المساكين الذين  
 لا يستطيعون شيئا .. وحملت أنا بينكما بحدائي  
 الغليظ ، ووظيفتي ، وسنى .. أدت دور  
 الخطيب الجاد .. ولا بد أن خالتها قد دفعتها الى  
 قبول طلبى .. الخلاصة أن الذى فكرت فيه  
 الليلة هو أنه لم يكن لى الحق فى أن أوجه اليك  
 ما وجهت من لوم ، وانى أسحبه كله . هو ذاك .

( يهوى جالسا ، وقد استنفد قواه . يخرج

جاستون من الحمام فيذهب اليه فى وداعة ،

ويقول واضعا يده على كتفه ) .

جاستون : كيف استطعت أن تحب الى هذا الحد ذلك

الولد النذل ، ذلك الولد الشرس ؟

جودج : وماذا تريد أن أفعل ؟ لقد كان أخى .

جاستون : انه لم يسلك سلوك الأخ في شيء . لقد سلك ، وخانك .. لو عاملك على هذا النحو أصدق أصدقائك لكنت كرهته .

جورج : الصديق شيء آخر ، أما هو فقد كان أخي ..  
جاستون : ثم كيف تستطيع أن تتمنى عودته — وان تقدمت به السن ، وان تغير — بين زوجتك وبنيك ؟

جورج : ( ببساطة ) وماذا تريدني أن أفعل ؟ انه ولو كان سفاحا ، فهو من الأسرة ، ومكانه في الأسرة .

جاستون : ( يردد ، بعد برهة ) هو من الأسرة ، ومكانه في الأسرة . ما أبسط هذا !  
( يقول لنفسه ) .

كان يظن نفسه صالحا ، وهو ليس بصالح ؛ فضلا ، ولكن هيهات . وحيدا في الدنيا ، وحرا بالرغم من جدران الملجأ — غير أن الدنيا تعمرها كائنات قدم لها رهونا وما زالت تنتظره — وأدنى حركاته لا يمكنها أن تكون الا امتدادا لحركات كان يأتي بها قديما . ما أبسط هذا !  
( يشد ذراع جورج بمنف ) .

لماذا جئت تحكى لى حكايتك علاوة على  
ما سبق ؟ لماذا جئت تقذف فى وجهى بعطفك ؟  
لكى يكون الأمر أبسط مما أصبح عليه ،  
بلا شك ؟

( هوى جالسا على السرير ، مرهقا بشكل  
غريب ) .

لقد كسبت .

چوچ : ( مسلوب الخاطر ) ولكن يا جاك ، لست أفهم  
لومك .. لقد جئت أحدثك هذا الحديث  
الأليم ، صدقنى ، لكى أشيع شيئا من الدفاء ،  
بالعكس ، فى الوحدة التى لا بد أحسستها حولك  
منذ أمس .

جاستون : هذه الوحدة لم تكن ألد أعدائى ..

چوچ : ربما فاجأت بعض نظرات الخدم ، وخرجت من  
حولك . لا يجب أن تعتقد مع ذلك أنه لم يكن  
يجبك أحد .. ان أمى ..

( ينظر اليه جاستون ، فيضطرب ) .

ثم ، على أى حال ، وبوجه خاص ، كنت أنا  
أخلص لك الحب .

جاستون : وفيما عداك ؟

جورج : طبعاً ..

( يتحرج ) ..

مهما يكن .. قالتين بلا شك .

جاستون : انها كانت متيمة بي ، وهذا شيء آخر .. ليس

هناك سواك .

جورج : ( يظأطء رأسه ) ربما ، نعم .

جاستون : ولماذا ؟ لقد استعصى على أن أفهم لماذا .

جورج : ( في وداعة ) ألم تحلم في حياتك بصديق كان في

أول الأمر صيبا صغيرا تمسكه من يده وتخرج

به الى النزهة ؟ أنت يا من تحب الصداقة ، تأمل

مدى سعدها بصديق من الجدة بحيث يأخذ

عك سر حروف الهجاء الأولى ، وسر ضربات

القدم الأولى وهو يركب الدراجة ، وسر حركات

الذراعين الأولى ليسبح في الماء . صديق من

الضعف بحيث لا تنقضى حاجته اليك لكي تدافع

عنه ..

جاستون : ( بعد برهة ) هل كنت صغيرا جدا عندما توفي

والدك ؟

جورج : كنت في الثانية من عمرك .

جاستون : وأنت ؟

جورج : في الرابعة عشرة .. كان عليّ طبعاً أن أعنى بك .

فقد كنت صغيراً جداً .

( بعد برهة ، يقول له عذره الحقيقي ) .

لقد كنت دائماً صغيراً جداً بالنسبة لكل شيء .

بالنسبة للمال الذي أعطيناك إياه قبل الأوان

كالسفنهاء ، بالنسبة لشدة أُمِّي ، وبالنسبة

لضعفي أنا أيضاً ، بالنسبة لسوء تصرفي . هذه

الكبرياء وهذا العنف اللذان كنت قد بدأت

تصطرع ضدهما وأنت في الثانية من عمرك ،

انما كانا وحشين أنت منهما برىء ، وكان علينا

نحن أن ننتقذك منهما . اننا لم نعجز عن ذلك

فحسب ، بل اتهمناك ؛ تركناك ترحل وحدك

إلى الميدان .. بيندقتك ، وكيسك ، وعلبة

قناعك الواقى ، ومحفظتيك الاثنتين ، لا بد أنك

كنت جندياً ضئيلاً جداً على رصيف المحطة !

جاستون : ( يهز كتفيه ) أظن أن ذوى الشوارب الغليظة

والوجوه الرهيبة كانوا هم أيضاً جنوداً ضئلاً

جدا ، عندما حان أن يطلبوا منهم شيئا أكبر  
من قواهم ..

جورج : ( يصيح ، ويكاد يتأوه ) نعم ، ولكنك أنت كنت  
في الثامنة عشرة ! وبعد أن تباهى الغزاة بلغاتهم  
الميتة وحياتهم المزخرفة بالنياشين ، كان أول  
شيء سيفرضه عليك الرجال هو أن تنظف  
الخنادق بسكين المطبخ .

جاستون : ( تند عنه ضحكة ناشزة ) وماذا بعد ؟ ان ازجاء  
الموت يبدو لى بالنسبة للشاب طريقة ممتازة  
لوصله بالحياة في أول عهده بها .

رئيس الخدم : ( يظهر ) سيدتى الدوقة ترجو سيدى أن يتفضل  
باللحاق بها فى الصالون الكبير بمجرد أن يتم  
استعداده .

جورج : ( نهض ) انى أتركك . ولكن ، من فضلك ،  
على الرغم من كل ما قيل ، لا تسرف فى كرهه ،  
چاك هذا .. اتنى أظن أنه كان قبل كل شيء ولدا  
مسكينا .

( يخرج . يمكث رئيس الخدم مع جاستون  
ويساعده فى ارتداء ملابسه ) .

جاستون : ( يسأله فجأة ) يا رئيس الخدم ؟

رئيس الخدم : سيدي ؟

جاستون : ألم تقتل في حياتك شخصا ما ؟

رئيس الخدم : سيدي يريد أن يمزح بلا شك . سيدي يدرك جيدا أنني لو كنت قتلت شخصا ما لما بقيت في خدمة سيدتي .

جاستون : ولا خلال الحرب ؟ في لقاء فردي مباغت وأنت

تقفز داخل مخبأ أثناء موجة الهجوم الثانية ؟

رئيس الخدم : لقد حاربت برتبة صول في مهمات الملابس و

ويجب أن أقول لسيدي أننا في وكالة المهمات

لم تسنح لنا الفرص الكافية .

جاستون : ( جامدا ، شاحبا جدا ، ووديعا جدا ) ما أسعد

حظك يا رئيس الخدم ! لأنه شعور رهيب أن

تعكف على قتل انسان لكي تنجو بحياتك .

رئيس الخدم : ( يتساءل أيجب عليه أن يضحك أم لا ) سيدي

يحسن التعبير . شعور رهيب ! لا سيما بالنسبة

للمقتول .

جاستون : انك تخطيء يا رئيس الخدم . المسألة كلها مسألة

خيال ، والمقتول في أغلب الأحيان أقل خيالا من

القاتل .

( برهنة )

وأحيانا لا يكون المقتول إلا مجرد طيف في  
حلم من القتال .

رئيس الخدم : في هذه الحالة ، أظن أنه لا يتعذب كثيرا ،  
يا سيدي .

جاستون : ولكن القاتل ، على العكس ، يحظى بعذاب  
الاثنين . هل تحب الحياة يا رئيس الخدم ؟

رئيس الخدم : مثل كل واحد يا سيدي .  
جاستون : تصور أنك ، لكي تحتفظ بالحياة ، يجب عليك

أن تغمر في العدم الى الأبد شابا ، شابا في الثامنة  
عشرة من عمره .. ولدا متكبرا ، ولدا دنيئا ،  
ولكنه مع ذلك .. ولد مسكين : لسوف تكون  
حرا ، وتفوز بأعظم حرية يتمتع بها  
انسان في الدنيا ، ولكن لكي تغدو حرا ، يجب  
عليك أن تترك هذه الجثة الصغيرة البريئة  
وراءك . فماذا تفعل ؟

رئيس الخدم : أعترف لسيدي بأنني لم أسأل قضى هذا  
السؤال . ولكن يجب أن أقول أيضا انه — اذا  
صدقت في ذلك الروايات البوليسية — لا ينبغي  
قط أن يترك المرء الجثة وراءه .

جاستون : ( فجأة ينطلق ضاحكا ) ولكن اذا لم يكن هناك  
أحد يستطيع أن يرى الجثة فيما عدا القاتل ؟  
( يذهب نحوه ويتلطف ) .

انظر يا ريس . قد انتهى الأمر . والجثة هنا  
عند قدميك . هل تراها ؟

( ينظر رئيس الخدم الى قدميه ، ويشب  
وثبة الى جانبه ، وينظر حوله ثم يقر ،  
ملعورا ، بأقصى سرعة يسمح بها الوقار .  
وتظهر قالتين على الفور في الممر . انها  
تجري الى الغرفة ) .

قالتين : ما الخبر الذي حملة لى جورج ؟ ألم تقل لهم  
شيئا بعد ؟ اذا لم أشأ أن أكون أول الداخلين  
الى غرفتك هذا الصباح ، ولكنى كنت أعتقد  
أنهم لن يلبثوا حتى يزفوا الى نأ طيبا . لماذا  
لم تقل لهم ؟

( جاستون ينظر اليها دون أن يقول شيئا )  
اسمع ، لا تدفعنى للجنون ! أثار الجرح ، لقد  
رأيتة أمس فى مرآة ، انى واثقة من هذا !

جاستون : ( بوداعة ، دون أن يكف عن النظر اليها ) لم أر  
أى أثر لجرح .

- قالتين : ماذا تقول ؟
- جاستون : أقول اننى نظرت بانتباه شديد الى ظهري ،  
واننى لم أر أى أثر لجرح . لا بد أنك أخطأت
- قالتين : ( تنظر اليه لحظة ، مذهولة ، ثم تفهم وتصحح  
فجأة ) أوه ! انى أكرهك ! انى أكرهك ! ..
- جاستون : ( هادئاً جداً ) أظن أن هذا أفضل .
- قالتين : أو تدرك — مجرد ادراك — ما تقوم به الآن ؟
- جاستون : نعم . انى أقوم الآن برفض ماضى وشخصياته  
— بما فيهم أنا . ربما كنتم أسرته ، وغرامياتي ،  
وقصتي الحقيقية . نعم ، ولكن هناك شئ ،  
وهو .. أنكم لا تعجبوننى : انى أرفضكم .
- قالتين : فانك مجنون ! انك وحش ! لا يستطيع الانسان  
أن يرفض ماضيه : لا يستطيع الانسان أن  
يرفض نفسه ...
- جاستون : اننى بلا شك الانسان الوحيد ، حقاً ، الذى  
وهبه القدر الفرصة السانحة لتحقيق ذلك الحلم  
الذى يراود كل انسان .. اننى رجل ، وفى  
استطاعتي أن أكون ، اذا شئت ، جديداً جدّة  
الطفل ! وهذا امتياز أرى من الاجرام ألا ألتفع

به . انى أرفضكم . ليس لدى منذ أمس —  
الذى لم أكد أفضيه بينكم — الا فيض من  
أشياء عنى ينبغى أن أنساها .

**قالتين :** وحبى ، أنا ، ماذا تفعل به ؟ انه أيضا ، بلا شك ،  
مما لا تتوق الى معرفته .

**جاستون :** لست أرى منه ، فى هذه اللحظة ، الا البغض  
الذى يملأ عينيك .. وهذا بلا شك وجه من  
وجوه الحب لا يندھش له سوى مريض يفقد  
الذاكرة ! على كل حال ، انه مريح جدا . لا أريد  
أن أرى وجها غيره . اتنى عاشق لا يعرف حب  
عشيقته — عاشق لا يتذكر القبلة الأولى ،  
ولا الدمعة الأولى — عاشق ليس أسير أية  
ذكرى ، وسوف ينسى كل شيء غدا . هذه أيضا  
فرصة نادرة .. انى أتتهزها .

**قالتين :** واذا مضيت أعلن ، أنا ، فى كل مكان ، أنتى  
أتعرف أثر ذلك الجرح ؟

**جاستون :** لقد واجهت هذا الفرض . من الناحية الغرامية :  
أعتقد أن قالتين القديمة كانت خليقة بأن تفعل  
كذلك منذ وقت طويل ، وأن من العلامات التى

تجلبت عزاء لا بأس به أنك أصبحت حذرة ..  
ومن الناحية القانونية: ألت زوجة أخى ، وتدعين  
أنك عشيقتى .. فأى محكمة يسكنها أن تقبل  
اتخاذ مثل ذلك القرار الخطير استنادا الى خلط  
مريب فى الفراش أنت وحدك تستطيعين التكلم  
عنه ؟

**فالتين :** ( شاحبة ، تضغط فكها ) حسنا . لك أن  
تتباهى . ولكن ، بصرف النظر عن كلامك الفارغ  
حول فقد ذاكرتك ، لا تعتقد أن سلوكك مما  
يستغرب صديوره عن رجل .. بل اننى متأكدة  
من أنك فى قرارة نفسك لا يبد فخور بحركتك .  
كم يروق لكبرياء الرجل أن يرفض امرأة انتظرته  
كل هذا الوقت الطويل ! ما دام الأمر كذلك ،  
أسألك أن تغفر لى ما سأسببه لك الآن من  
ألم ، فانك لا تعلم أنه كان لى — رغم كل  
شئ — عشاق آخرون منذ الحرب .  
**جاستون :** ( يتسهم ) شكرا . هذا لا يؤلمنى ..

( فى المر يظهر رئيس الخدم والوصيف .  
من اشاراتهما نفهم أنهما رأيا من الأفضل  
أن يكونا اثنين لمواجهة جاستون ) .

الوصيف : (على الباب) جناب الدوقة دييون — ديفور  
رجتتى أن أقول لسيدى أن يتعجل فيتفضل  
باللحاق بها في أقرب فرصة في الصالون الكبير ،  
لأن عائلات سيدى قد فقد صبرها .

( جاستون لم يتحرك ، يتوارى الخادمان )

قالتين : ( تنفجر ضاحكة ) عائلاتك يا چاك !  
آه ! يا له من تغفل ، انى أريد أن أضحك ..  
لأن هناك شيئاً تنساه ، وهو أنك اذا رفضت  
أن تأتى معنا ، فسيجب عليك أن تذهب معها ،  
رضيت أم كرهت . سيجب أن تذهب لتنام في  
فراش فقيدهم ، وأن تلبس ملابس فقيدهم  
الداخلية ، ومركوبه القديم الذى احتفظوا به في  
وفاء وتقديس .. تلك الأسر قد فقد صبرها ..  
هيا ، تعال ، أنت يا من تخاف من ماضيك هذا  
الخوف ، تعال انظر الى رؤوس هؤلاء الناس  
المتوسطى الحال والفلاحين ، تعال واسأل نفسك  
أى أنواع لديهم من الماضى الملىء بالحسابات  
الصغيرة والبخل يعرضونها عليك .

جاستون : من المتعذر عليهم قطعا ، مهما حاولوا ، أن يعرضوا أحسن مما تعرضين .

قالتين : أتظن ؟ تلك الخمسمائة ألف فرنك التي جاءت عن طريق النصب وأتفقت في اللهو والعريضة قد تبدو لك شيئا تافها حقا بجانب ما هناك من مشاحنات على شبر من الأرض ، وتقتير لادخار الملايم . هيا ، تعال ، ما دمت لا تريدنا ، فافك مدين بنفسك الآن للأسر الأخرى .  
( تريد أن تجره ، فيقاوم ) .

لا ، لن أذهب .

قالتين : آه ؟ وماذا ستفعل ؟

جاستون : سأرحل .

قالتين : الى أين ؟

جاستون : يا له من سؤال ! الى أى مكان .

جورج : تلك اجابة شخص فقد الذاكرة . وأما نحن ،

الذين احتفظنا بذاكرتنا ، فنعرف أن الانسان مضطر دائما الى أن يختار اتجاهها معينا في المحطات ، وأنه لا ينتقل أبدا الى أبعد من المسافة التي يحددها ثمن تذكرته .. عليك أن تختار بين

القطار الذاهب الى « بلوا » أو القطار الذاهب  
الى « أورليان » . أى أنه إذا كانت لديك تقود ،  
ينفتح العالم أمامك ! ولكنك لا تملك مليما في  
جيبك ، فماذا ستفعل ؟

**جاستون :** سأجبط تقديراتكم . سأسافر ماشيا ، عبر  
الحقول ، فى إتجاه « شاتودان » .

**فالتين :** أشعر أنك تتمتع بكل هذه الحرية منذ تخلصت  
منا ؟ انما أنت فى نظر الشرطة لست الا مجنونا  
هاربا من ملجأ . سوف يقبضون عليك .

**جاستون :** سأكون بعيدا . انى سريع المشى جدا .

**فالتين :** ( تصرخ فى وجهه ) أتظن أنتى لن أنذر بالخطر  
اذا خطوت خطوة واحدة خارج هذه الغرفة ؟  
( ذهب فجأة الى النافذة ) .

انك مضحك ، فالنافذة عالية جدا ، وليس هذا

**جاستون :** جلا .  
( التفت نحوها كحيوان مطارد . تنظر  
اليه وتخطبه برقة ) .

ربما تخلصت منا ، ولكنك لن تخلص من عادة  
تقل أفكارك واحدة بعد الأخرى الى عينيك ..

لا ، يا چاك ، حتى ولو قتلتني لتكسب ساعة  
تنتهزها في الفرار ، سوف تمسك .

( طأطأ رأسه ، وقد لاذ بركن من الفرفة ) .

ثم ، انك تعلم حق العلم أنني لست أنا وحدي  
التي أطارذك وأريد استبقائك . بل كل النساء ،  
وكل الرجال ... حتى الموتى ذوى السير  
الفاضلة ، ممن يحنون في الخفاء أنك تحاول  
الآن أن تتعدى على فضائلهم .. لا سبيل الى  
الفرار من جمهور بهذه الكثرة ، يا چاك .  
وسواء شئت أم لم تشأ ، سيجب عليك أن  
تتنمى الى شخص ما أو أن تعود الى ملجئك .

جاستون : ( بصوت مكتوم ) اذن سأعود الى ملجئى .

فالنتين : انك تنسى أنني كنت متعهدة الثياب طيلة يوم

كامل ، فى ملجئك ! وأنى رأيتك تعزق الخس  
ربما فى جو الفلاحة الشاعرى ، ولكنى رأيتك أيضا  
تساعد فى تفريغ المياول وغسل الآنية ، بين شد  
وجذب من المرضى الذين كنت تستجديهم  
قبصة دخان لغليونك .. انك تتكبر علينا ؛  
تسء خطابنا ، وتهزأ بنا ، ولكنك بدوتنا لست

الا ولدا صغيرا عاجزا لا حق له في أن يخرج  
وحده ، وعليه أن يختبئ في المراحيض لكي  
يلدخ .

جاستون : ( تصدر عنه حركة ) اذهبي عنى الآن . لم يعد  
لدى أدنى أمل : لقد أدت دورك .

( خرجت دون أن تنطق بكلمة . جاستون  
يمكث وحده ، فيجبل نظرة مرهقة في  
الغرفة ؛ ويقف أمام الخزانة ذات المرآة ،  
وينظر الى صورته مليسا . فجأة يتناول  
شيئا مما على المائدة ، بجواره ، دون أن  
يحول بصره عن صورته ، وبأقصى عزمه  
يقذف به المرآة التي تهشم وتهوى قطعا .  
ثم ينصرف فيجلس على السرير ، ورأسه  
في راحتيه . صمت ، ثم يبدأ برفق عزف  
موسيقى ، حزينة في أولها ، ثم تتحول  
شيئا فشيئا ، بالرغم من جاستون ،  
وبالرغم منها ، الى موسيقى مرحة . بعد  
انقضاء برهة ، يفتح غلام صغير قد ارتدى  
زى « كلية ايتون » باب غرفة الانتظار ،  
ويلقى نظرة استطلاع ، ثم يعيد اغلاق الباب  
بعناية ويسير في المر على طرف قدميه  
مستكشفا . يفتح كل باب يصادفه في  
طريقه ، ويلقى نظرة مستفهمة داخل  
الحجرات . عندما يصل الى باب الغرفة ،  
يؤدى نفس الحركات . وإذا به أمام  
جاستون ، الذي يرفع رأسه ، مندهشا  
من ظهور هذه الشخصية له . )

الغلام الصغير : أسألك العفو ، يا سيد . لعلك تستطيع أن ترشدنى . انى أبحث عن المكان الصغير .

جاستون : ( يفيق من حلم ) المكان الصغير ؟ أى مكان صغير ؟

الغلام الصغير : المكان الصغير الذى يستريح المرء فيه .

جاستون : ( يفهم ، وينظر اليه ثم ، فجأة ، يطلق ضحكة طيبة ، لم يتعملها ) يا لها من مصادفة ! .. تصور أثنى ، أنا أيضا ، أبحث عنه فى هذه اللحظة ، المكان الصغير الذى يستريح المرء فيه ..

الغلام الصغير : فانى أسألك اذن من الذى ينبغى أن نسأله الآن .

جاستون : ( ما زال يضحك ) انى أسألك كذلك .

الغلام الصغير : على كل حال ، أنت اذا مكثت هنا ، لن تتاح لك فرص كثيرة لأن تجده .

( يلمح حطام المرأة ) .

يا للهول ! أهو أنت الذى كسرت المرأة .

جاستون : نعم ، أنا .

الغلام الصغير : لذلك أنت شديد الضيق . ولكن ، صدقنى ،

من الأفضل لك أن تقول هذا بصراحة . انك سيد ، ولا يمكن ان يفعلوا بك شيئاً خطيراً . ولكن أتدري ، انهم يقولون ان هذا يجلب النحس .

جاستون : يقولون هذا ، نعم .

الفلام الصغير : ( متصرفاً ) اني ذاهب لعلی ألقى في الممرات خادماً .. وبمجرد أن يدلني ، سأعود لأشرح لك أين يوجد ..  
( جاستون نظر اليه ) .

.. المكان الصغير يبحث عنه كلانا ..

جاستون : ( يتسهم ويتأديه ) اسمع ، اسمع .. مكانك الصغير الذي يستريح المرء فيه ، عثورك عليه أسهل جدا من عثوري على مكاني . عندك هنا واحد منها ، في الحمام .

الفلام الصغير : أشكرك جدا ، يا سيد .

( يدخل الحمام ، وتستأنف الموسيقى لحنها الصغير الساخر . يعود الفلام الصغير بعد انقضاء بضع ثوان . جاستون لم يتحرك . )

والآن يجب أن أعود الى الصالون . من هنا ؟

جاستون : نعم ، من هنا . أنت مع الأسر ؟  
القلام الصغير : نعم ، هناك كثير جدا من الناس ، من كل نوع ،  
جاءوا لكي يجربوا التعرف على مريض فقد  
الذاكرة في الحرب . أنا أيضا أتيت لهذا . لقد  
تعجلنا السفر بالطيارة لأنه يظهر أن مؤامرة  
تجرى وراء ستار . أنا على أى حال لم أفهم  
بالضبط . يجب أن أستفسر من العم چوب .  
هل سبق لك أن ركبت الطيارة ؟

جاستون : من أى عائلة أنت ؟

القلام الصغير : مادينسال .

جاستون : مادينسال .. آه ! نعم .. مادينسال ، الانجليز ..

انى أرى الملف أمامى ، بوضوح . درجة  
القراءة : عم .. بل اننى أنا الذى نسخت بطاقة  
الملف . أظن أن لدى آل مادينسال عما .

القلام الصغير : نعم ، يا سيد ..

جاستون : العم چوب ، صحيح . طيب ، قل للعم چوب ،  
إن كان لى أن أقدم له نصيحة ، ألا يسرف فى  
الأمل بشأن ابن أخيه .

القلام الصغير : لماذا تقول لى هذا ، يا سيد ؟

جاستون : لأن ابن الأخ المذكور لن يتاح له في أكبر الظن أن يتعرف طول حياته شخصية العم چوب .

الغلام الصغير : ولكن ليس هناك ما يدعو الى أن يتعرفه ، يا سيد . فليس العم چوب هو الذي يبحث عن ابن أخيه .

جاستون : آه ! أوجد عم آخر باسم مادينسال ؟

الغلام الصغير : بكل تأكيد ، يا سيد . بل وانه شيء يثير بعض التعجب ، في الواقع .. فالعم مادينسال هو أنا .

جاستون : ( مبهوتا ) كيف يمكنك أن تكون ؟ تقصد أنه أبوك ؟

الغلام الصغير : لا ، لا ، أنا . بل اقه من المخرج جدا ، كما ترى ، أن يكون غلام صغير عما لشخص كبير . لقد أمضيت وقتا طويلا على كل حال حتى فهمت الوضع واقتنعت به . ولكن جدى أنجب أولادنا بعد أن تقدم في السن جدا ، ومن هنا كان الأمر على هذا النحو . اننى مولود بعد ابن أخى بست وعشرين سنة .

جاستون : ( يتطلق ضاحكا بصراحة ويجذبه على ركبته )

إذن فأنت العم ماديسال ؟

الغلام الصغير : نعم ، انه أنا . ولكن لا يجب الاستهزاء ،

فلا حيلة لي في ذلك .

جاستون :- ولكن في هذه الحال ، ذلك العم چوب الذى

كنت تتحدث عنه ..

الغلام الصغير : أوه ! انه من أصدقاء أبى القدماء ، وهو المخامى

الذى يتولى جميع شئونى الخاصة بالتركة .

ألا ترى أنه من الصعب على رغم كل شيء أن

أخاطبه بعبارة « يا أستاذ » ؟ لذلك

أدعوه عمى چوب .

جاستون : ولكن كيف تصادف أن تصبح أنت وحدك

مثل عائلة ماديسال ؟

الغلام الصغير : كان هذا على اثر كارثة فظيعة . لعلك سمعت

عن غرق الباخرة « نبتونيا » ؟

جاستون : نعم ، من زمن بعيد .

رئيس الخدم : فإن أسرتى كلها كانت على ظهرها فى نزهة

بحرية .

( جاستون ينظر اليه ، مسحورا ) .

جاستون : اذن كل أقربائك قد ماتوا ؟

الغلام الصغير : ( بلطف ) أوه ! ولكن ، لا تجزع ، لا يجب أن تنظر الى هكذا . ليس الأمر محزنا الى هذه الدرجة . فقد كنت لا أزال طفلا صغيرا جدا عندما وقعت الكارثة .. والحق أني لم أشعر حتى بوقوعها .

جاستون : ( ينزله على الأرض ، ويتأمله ، ثم يضرب على كنفه ) يا عمي ماديسال الصغير ، انك شخصية كبيرة دون أن تدري !

الغلام الصغير : أتعلم أني من الآن أتقن جدا لعب الكريكت ؟ وأنت ، هل تلعب ؟

جاستون : الذي لا أفهمه ، هو لماذا يحضر العم جوب من آخر انجلترا ليبحث عن ابن أخ لموكله الصغير . ابن أخ سوف يعقد له على الأرجح عيله ، فيما أتصور .

الغلام الصغير : أوه ! ذلك لأنك لا تعرف مسائل الوراثة . انها معقدة جدا ، ولكنني أظن أنني فهمت أننا ان لم نجد ابن أخينا هذا ، فان النصيب الأكبر من مالي سيفلت من بين أيدينا . وهذا يضايقني

كثيرا لأن هناك ضمن التركة المذكورة بيتا جميلا  
جدا في منطقة « ساسكس » به أفراس بديعة ..

هل تحب ركوب الخيل ؟

جاستون : ( فجأة حالما ) على ذلك ، فالعم چوب لا بد أن  
يكون مشتاقا جدا الي لقاء ابن أخيك ؟

القلام الصغير : طبعاً ! .. من أجلى .. ومن أجله . لأنه لم يعترف  
لي بذلك ، وإنما قالت لي مرييتى ان له نسبة  
مئوية على جميع شؤوني .

جاستون : آه ! طيب . وأى نوع من الرجال هو ، هذا  
العم چوب ؟

القلام الصغير : سيد يميل الي البدانة ، شعره أبيض ..

جاستون : لا ، ليس هذا ما أقصد . على أى حال ، ذلك  
استعلام لا تستطيع أنت أن تحيينى عنه . أين  
هو في هذه اللحظة ؟

القلام الصغير : انه يدخن غليونته في الحديقة . فهو لم يرد أن  
يمكث في الصالون للانتظار مع المنتظرين .

جاستون : حسناً . تستطيع أن تهودنى اليه ؟

القلام الصغير : إذا شئت .

جاستون : ( يبدق الجرس . الي الوصيف الذى يدخل )

أرجوك أن تخطر الدوقة ديون — ديفور بأن  
عندي خيرا هاما — أسمع جيدا : خيرا هاما ؟  
— يجب أن أفضى به اليها . فلتتكرم بالحضور  
الى هنا .

الوصيف : خيرا هاما ، حاضر ، سيدي يستطيع الاعتماد  
على

( يخرج ، شديد الهياج ، وهو يتمم )

هاما .

جاستون : ( يجذب الغلام الصغير نحو الباب المقابل ) ليمر  
من هنا .

( عندما يصل الى الباب ، يتوقف ويسأله )

ألا قل لي ، هل أنت متأكد جدا من أن أهلك  
جميعا قد ماتوا ؟

الغلام الصغير : جميعا . حتى أعز الأصدقاء الذين دعوهم بكامل  
هيتهم الى هذه النزهة البحرية .

جاستون : عظيم .

( يفسح له الطريق ليمر أمامه ، ويخرج . )

تعود الموسيقى ، ساخرة . يظل المسرح  
خاليا لحظة ، ثم تدخل الدوقة ، يتبعها  
الوصيف . )

**الدوقة** : كيف هذا ؟ يريد أن يرانى ؟ فانه يعرف مع ذلك

أننى فى انتظاره منذ ربع ساعة . قال لك : خيرا ؟

**الوصيف** : هاما .

**الدوقة** : ( فى الغرفة الخالية ) فأين هو ؟

( جاستون ، يتبعه العم جوب والفلام

الصغير ، يدخل الغرفة بوقار الرسميات .

تنبعث من الفرقة الموسيقية نغمة طرب

مرتعشة أو ما يشبه ذلك . )

**هوسيار** : سيدتى الدوقة ، أقدم لك الأستاذ « بيكويك »

وكيل أسرة مادينسال ، وها هو ذا مثلها

الوحيد . لقد أبلغنى الأستاذ « بيكويك » الآن

شيئا يثير غاية العجب : فهو يدعى أن ابن أخى

موكله كان لديه ، على بعد سنتيمترين تحت

عظمة الكتف اليسرى ، أثر جرح خفيف لم يكن

يعرفه أحد . وقد كشف له عن ذلك أخيرا

خطاب وجد مصادفة فى قلب كتاب .

**بيكويك** : خطاب أضعه على أى حال تحت تصرف سلطات

الملجأ ، يا سيدتى ، منذ أعود الى انجلترا .

**الدوقة** : انما أثر هذا الجرح ، يا جاستون ، أنت لم تره

أبدا ؟ ولم يره أحد أبدا ، أليس كذلك ؟

جاستون : لم يره أحد .

بيكويك : ولكنه من صغر الحجم ، يا سيدتي ، بحيث أظن

أن أحدا لم ينتبه اليه حتى الآن .

جاستون : ( خالما سترته ) ان التجربة سهلة . أتريدان

أن تنظرا ؟

( يسحب قميصه . تتناول الدوقة

منظرها اليدوي ، ويضع الأستاذ بيكويك

منظراته الغليظة . وهو إذ يقدم لهما ظهره ،

ينحني نحو الغلام الصغير . )

الغلام الصغير : أرجو أن يكون لديك أثر ذلك الجرح .

فسوف آسف إذا لم تكن أنت .

جاستون : لا تخف . انه أنا .. أصحيح اذن أنك لا تتذكر

شيئا عن أهلك .. لا وجها واحدا ، ولا حكاية

صغيرة ؟

الغلام الصغير : ولا حكاية . ولكن اذا كان هذا يضايقك ، ربما

أتمكن من القيام بالاستفسار .

جاستون : لا تفعل شيئا من ذلك .

الدوقة : ( التي كانت تنظر الى ظهره ، تصيح فجأة )

ها هو ذا ! ها هو ذا ! آه ! يا الهي ، ها هو ذا !

بيكويك : ( الذي كان يبحث أيضا ) هذا صحيح ،

ها هو ذا !

النوقة : آه ! قبلنى يا جاستون ... يجب أن تقبلنى ،  
يا لها من مغامرة عجيبة .

بيكويك : ( بلا ضحك ) وغير منتظرة بالمرة ..

النوقة : ( تهوى جالسة ) شئ وهيب ، سوف يعنى  
على بلا شك !

جاستون : ( ينهضها ، بابتسامة ) لا أظن .

النوقة : ولا أنا أيضا . سوف أخاطب بالأحرى

« يوتوبرون » بالتليفون . ولكن قل ، يا سيد

مادينسال ، هناك شئ أتوق جدا الى معرفته :

عند اجراء آخر خراج للتثبيت ، جعلك صغيرى

ألبير تقول « خنزير » فى هديانك . فهل هذه

كلمة تربطك الآن بحياتك السابقة ؟ ..

جاستون : صه ! لا ترددى هذا على مسمع أحد . انه هو

الذى كنت أسميه بهذا الاسم .

النوقة : ( مرتاعة ) أوه ! صغيرى ألبير !

( تتردد لحظة ، ثم تغير رأيها ) .

ولكن هذا غير مهم ، انى أصفح عنك ..

( استدارت نحو بيكويك ، متوددة ) .

فهنت الآن ! انها كانت روح الفكاهة الانجليزية .

بيكويك : بعينها !

النوقة : ( تخطر لها الفكرة فجأة ) ولكن ، بالنسبة

لآل رينو ، يا لها من ضربة فظيعة ! كيف نسوق اليهم الخير ؟

جاستون : ( في جدل ) انى أعهد اليك بذلك . فبعد خمسين دقائق سأكون قد غادرت هذا البيت دون أن أراهم .

الدوقة : أليس لديك أية رسالة أبلغها لهم ؟  
جاستون : لا . ليس عندي رسائل . بلى ، مع ذلك ..  
( يتردد ) .

قولى لجورج رينو ان طيف أخيه الخفيف يرقد قطعاً في مكان ما داخل حفرة جماعية بألمانيا . وانه لم يكن في حياته إلا طفلاً جديراً بكل مغفرة ، طناً يستطيع أن يحبه الآن دون خوف من أن يقرأ شيئاً قبيحاً أبداً على وجهه اذا أصبح رجلاً . تلك هي الرسالة . والآن ..

( يفتح الباب الى أقصاه ، ويومئ لهما بلطف نحو طريق الخروج . وما زال يضم اليه الغلام الصغير ) .

دعيني وحدى مع أهلى . فعلينا أن نقابل بين ذكرياتنا ..

( تصدح الموسيقى بأنغام النصر . تخرج الدوقة مع الأستاذ بيكويك . )

تسقط الستارة

## روائع المسرح العالمي

صدر منها حتى الآن ٥٥ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ -	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيخوف
٢ -	أعمدة المجتمع	هنريك إبسن
٣ -	سيرانو دي بجرارك	ادمون روستان
٤ -	مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥ -	بنيلوبى	سمرسيت موم
٦ -	الغربان	هنرى بك
٧ -	الكترا	جان جيرودو
٨ -	توركاريه	ر . لوساج
٩ -	الدائرة	سمرسيت موم
١٠ -	شاترتون	الفرد ديغيني
١١ -	الأم	كارل تشابك
١٢ -	اللعبة الغادرة	جون جالزوردى
١٣ -	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤ -	سنت شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥ -	عربة اسمها الرغبة	تسى وليامز
١٦ -	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧ -	رجل الله	جابريل مارسيل

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٨ -	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩ -	سباق المشاعل	بول هارثيه
٢٠ -	كنوك	جول رومان
٢١ -	جونو والطاوس	شين أوكاسى
٢٢ -	دون جوان	موليير
٢٣ -	بيت برناردا ألبا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤ -	القرود الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥ -	مأساة الدكتور فومستس	كريستوفر مارلو
٢٦ -	الأستاذ كلتيوف	كارن برامسون
٢٧ -	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨ -	ماترفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩ -	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠ -	دائرة الطباشير العوقازية	يرتولت برشت
٣١ -	منزل القلوب المحطمة	جورج برنارد شو
٣٢ -	القيارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣ -	أفكار ضيائية	نويل كوارد
٣٤ -	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنرو
٣٥ -	عندما نبت نحن الموتى	هنريك ابسن
٣٦ -	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧ -	سيجفريد	جان چيروودو
٣٨ -	علماء الطبيعة	فريدزش دورنمات
٣٩ -	رغبة تحت شجر الذردار	يوجين أونيل
٤٠ -	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١ -	جزاء خدماتهم	سومرست موم

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٢ -	ايولف الصغير	هنريك ايسن
٤٣ -	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤ -	الاله الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥ -	حاملة المصباح	رجنالد بركلي
٤٦ -	آل باريت	زودلف بييريه
٤٧ -	الزفاف الدامي	فدريكو جريثا لوركا
٤٨ -	الغاطبية	تورنتن ويلدر
٤٩ -	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠ -	الخصي	ترنتبوس أفسير
٥١ -	فترة التوافق	تنيسي وليامز
٥٢ -	يسرجينت	جون جلزوردي
٥٣ -	الابن الأكبر	هنريك ايسن
٥٤ -	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات
٥٥ -	ديدرى فتاة الأحزان	جون ميلنجتون سينج

ملتزم التوزيع في الداخل والخارج مؤسسة الخانجي بالقاهرة  
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي د القاهرة  
ومن مكتبة المثني ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

1. The first step in the process of identifying a problem is to recognize that a problem exists. This is often done by comparing current performance with a desired state or goal. For example, a manager might notice that sales are declining or that customer satisfaction is low. Once a problem is identified, the next step is to define it more precisely. This involves determining the scope of the problem, its causes, and its effects. For instance, a manager might define a problem as "a 10% decrease in sales over the last quarter, primarily due to a loss of market share in the competitive market." The third step is to analyze the problem. This involves gathering data, identifying key factors, and determining the underlying causes. For example, a manager might analyze sales data to identify trends, compare performance with competitors, and determine the reasons for the decline. The fourth step is to generate potential solutions. This involves brainstorming ideas and evaluating their feasibility. For instance, a manager might consider solutions such as increasing marketing efforts, improving product quality, or offering discounts. The fifth step is to select a solution. This involves evaluating the potential solutions based on criteria such as cost, effectiveness, and risk. For example, a manager might choose a solution that is cost-effective and has a high chance of success. The sixth step is to implement the solution. This involves putting the chosen solution into action and monitoring its progress. For instance, a manager might implement a new marketing campaign and track sales over time. The seventh step is to evaluate the results. This involves comparing the actual results with the expected results and determining the effectiveness of the solution. For example, a manager might evaluate sales data to see if the decline has been reversed. The eighth step is to adjust the solution if necessary. This involves making changes to the solution based on the results. For instance, a manager might adjust the marketing campaign if it is not performing well. The ninth step is to document the process. This involves recording the steps taken and the results achieved. For example, a manager might write a report on the problem-solving process. The tenth step is to share the results. This involves communicating the findings to others. For instance, a manager might present the results to the board or other stakeholders.

2. The first step in the process of identifying a problem is to recognize that a problem exists. This is often done by comparing current performance with a desired state or goal. For example, a manager might notice that sales are declining or that customer satisfaction is low. Once a problem is identified, the next step is to define it more precisely. This involves determining the scope of the problem, its causes, and its effects. For instance, a manager might define a problem as "a 10% decrease in sales over the last quarter, primarily due to a loss of market share in the competitive market." The third step is to analyze the problem. This involves gathering data, identifying key factors, and determining the underlying causes. For example, a manager might analyze sales data to identify trends, compare performance with competitors, and determine the reasons for the decline. The fourth step is to generate potential solutions. This involves brainstorming ideas and evaluating their feasibility. For instance, a manager might consider solutions such as increasing marketing efforts, improving product quality, or offering discounts. The fifth step is to select a solution. This involves evaluating the potential solutions based on criteria such as cost, effectiveness, and risk. For example, a manager might choose a solution that is cost-effective and has a high chance of success. The sixth step is to implement the solution. This involves putting the chosen solution into action and monitoring its progress. For instance, a manager might implement a new marketing campaign and track sales over time. The seventh step is to evaluate the results. This involves comparing the actual results with the expected results and determining the effectiveness of the solution. For example, a manager might evaluate sales data to see if the decline has been reversed. The eighth step is to adjust the solution if necessary. This involves making changes to the solution based on the results. For instance, a manager might adjust the marketing campaign if it is not performing well. The ninth step is to document the process. This involves recording the steps taken and the results achieved. For example, a manager might write a report on the problem-solving process. The tenth step is to share the results. This involves communicating the findings to others. For instance, a manager might present the results to the board or other stakeholders.



